رسالة في

الختـــــان

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٧/٩/٣٠٢٨)

617.463

"خزنة كاتبي، موفق عادل

رسالة في الختان/ موفق عادل "خزنة كاتبي._ عمان: دار المأمون، ٢٠٠٧.

(٩٨) ص.

ر.أ: (٢٠٠٧/٩/٣٠٢٨).

الواصفات: /الختان/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار المأمون للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس

تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧

ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن

E-mail: daralmamoun@maktoob.com

رسالة في

الختـــان

الدكتور

موفق عادل خزنة كاتبي

بسم الله الرحن الرحيم

إهداء

إلى ابني الدكتور خالد..

إن إهدائي هذا الكتاب لك، يختلف عن المألوف مما سار عليه المؤلفون في إهداء مؤلفاتهم؛ ذلك أني أهديتك أفكاري قبل أن أهديك كلماته.

من الثابت والمسلم به أن أحداً لا يُحبُّ أن يكون أحدٌ أحسن منه إلاّ ابنه فلو خُيِّر إنسان أن يكون أباً لعظيم أو ابناً لعظيم نعضّل الحالة الأولى لأنه يشعر أن تلك العظمة من صنع يده؛ وبذلك فيها استمرار وجود رغم العمر المحدود.

كنتُ أُحب أن يدرس أحد أبنائي الطبَّ، لأني درست هذا العلم رسالة لا مهنة أترزق منها في زمن كانت أبواب الجامعات في الخارج مفتوحة لكل من حاول الدخول إليها ودراسة الطب؛ فكان لابُدّ من معدلٍ عالٍ جداً ولابد من اجتياز الحواجز الكثيرة إلى من يتخرج طبيباً.

وأظن أن هذه الحالة ما زالت موجودة إلى هذا الزمن مع فارق كثرة عدد كليات الطب مع كثرة الجامعات في بلادنا وبالتالي ازدياد عدد المقبولين فيها.

وقد وفقك الله لدراسة الطب إذ كنتَ من الذين توافرت فيهم الشروط المطلوبة وتخرجت طبيباً؛ والذي سرّني أنك تجاوزت الحد الذي أنا وقفتُ عنده وتابعت أنت إلى الاختصاص، وهكذا عُدتَ بعد أن تخصصت في أحسن المراكز العلمية في اختصاصك لقد تميزت عن غيرك بأمر هام فقد أعجبتك مهنة أبيك وأنت طالب في المرحلة الثانوية حيث كنتَ تأتي إلى العيادة في العطلة المدرسية وتساعد الممرضة في عملها ثم أباكَ في المرحلة الجامعية، ولهذا صارت مهنة الطب هواية عندك تقوم بها وأنت مسرور بعملك؛ وهذا الشعور بالرضى والقبول هو الشرط الرئيسي لنجاح الطبيب.

وهكذا وبعد سنوات عديدة قضيتها في الخارج للتخصص عدتَ لتعمل في عيادة خاصة؛ والعمل في العيادة الخاصة له عدة مواصفات، أولها: أن تكون مسلحاً بالعلم الغزير؛ وثانيها: الخبرة المستمرة؛ وثالثها: بتوفيق الله لك.

أنصحك بإتقان عملك «فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». وهكذا عليك أن تستمر بالمطالعة والمشاهدة وحضور المؤتمرات الطبية والندوات والمحاضرات العلمية. أعطِ نفسك علامة بعد كلّ مرض عالجته أو إجراء قمت به، وذلك لفترة تستمر مدة عشر سنوات من الممارسة الخاصة، فإذا لم تعجبك العلامة ابحث في نفسك عن سبب لذلك الضعف وحاول أن تكتشفه. كذلك حاول أن تستفيد من أخطاء غيرك «فالعاقل من اتعظ بغيره»، ولا تلومنّ أحداً إن أخطأ فالذي يعمل كثيراً يتعرض إلى الخطأ أكثر من الذي لا يعمل. وإذا اكتشفت أنك أخطأت فعليك تلافي الخطأ بسرعة فائقة وبأسلوب صحيح وأن لا يُعالج الخطأ بالخطأ؛ ويجب علينا أن لا

نشيع أخطاءنا وأخطاء غيرنا فإن ذلك يقلل من قدسية المهنة في عقول الناس، اعمل على أن تستشير غيرك عند غموض التشخيص واطلب مساعدة غيرك عند وجود أية صعوبة في العمل، وتعاون مع غيرك في الإجراءات الكبيرة أو النادرة أو الخطرة؛ فما خاب من استشار، فحياة الإنسان أثمن من كل شيء. «ومن أحياها فأنما أحيا الناس جميعا».

وأنا أبوك أقسمت قبل خمسين عاماً وفي مثل هذا اليوم من هذا الشهر أمام رئيس الجمهورية العربية السورية وآلاف الحاضرين أن أستشير غيري عند غموض التشخيص وأن أتعاون مع غيري في معالجة الحالات الخطرة (كان هذا قبل وجود المستشفيات المتخصصة ومن فيها من الاستشاريين) وبفضل من الله لم أحنث بيميني منذ أول يوم تحملت فيه مسؤولية المعالجة وحدي – وحتى هذا التاريخ.

أريدك أن تكون طبيباً عالماً وجراحاً حاذقاً ولا أريدك جابياً، لا تجعل الثروة هدفك فإن الثروة تهرب من الذين يجعلون همهم الحصول عليها. لذلك لا يكون همك زيادة رصيدك في البنك بل اعمل على زيادة رصيدك من محبة الناس وقبولهم وإعجابهم بنتائج أعمالك؛ وهنا منهل الثروة والرصيد الذي لا ينضب للطبيب.

أنت تمارس عملك في عيادة خاصة أو مستشفى خاص ولذلك أنت تتحمل مسؤولية المريض وحدك وعليك أن تقوم بكل المراحل بنفسك أو بإشرافك المباشر تراقب يومياً تطور الحالة إلى الشفاء فلست في مؤسسة عامة أو تعليمية فلا تعتمد على غيرك.

في عيادتك الخاصة لا تفحص سيدة لوحدها إلا بوجود الممرضة، وإذا لم تكن موجودة فأدخل معها واحدة من أهلها اللواتي يرافقنها أو حتى واحدة من الحاضرات في العيادة في ذلك الوقت؛ وإياك أن تفحص سيدة أمام زوجها أو بنتاً أمام أخيها لأن ذلك من الأمور الحساسة والمرفوضة في مجتمعنا.

إن مهنتنا مهنة إنسانية وتتعامل مع الإنسان في أصعب ظروفه، وعلينا أن نتقبل المريض في كل حالاته؛ فمن المرضى من يحلو لسانه في المرض ومنهم من يسوء طبعه، فعليك أن تتقبل مريضك برضىً في الحالتين.

عالج من الفقراء مجاناً من «الذين تحسبهم أغنياء من التعفف» لا يسألون الناس إلحافاً" أما بقية الفقراء فلهم النصيب الأوفر من خدمات الدولة الصحية من وقاية وعلاج وحالات طارئة، فهي توليهم أهمية أكثر ما تولي الأغنياء؛ بل عالج مجاناً وساعد مالياً مرضى المؤسسات الخيرية غير الربحية، فإن تل المؤسسات تستحق منا الرعاية لديمومة وجودها.

وأنت تمارس اختصاصك في الجراحة العامة وجراحة الكولون عليك أن تهتم بالتشخيص التفريقي حيث يمكنك من الوصول إلى التشخيص الصحيح للحالة المرضية لا سيما إذا توافق ذلك من مشاهدات سابقة أو أعمال ناجحة. لا تبدأ بالمعالجة الجراحية إلا إذا كانت الوسيلة الوحيدة للشفاء أو إنقاذ الحياة أو تخفيف

المعاناة؛ وعليك إفهام المريض أو أهله – حسب خطورة الحالة – بتشخيصك للمرض والإنذار الصحيح ومدّة العلاج ومدّة الشفاء ومد النقاهة وما يتبع ذلك من العناية المنزلية؛ وعليك أن تصدر تعليماتك بوضوح إلى الجهاز التمريضي وتابعهم وراقبهم إذا كانوا يلتزمون بتنفيذ "الأمر الطبي" كما هو مكتوب.

استمعت وأنا في السنة النهائية في كلية الطب في الجامعة السوري إلى محاضرة لأشهر أخصائي أمريكي في أمراض القلب واتبعت ذلك الأسلوب طيلة خمسين سنة من ممارستي المهنة للوصول إلى التشخيص الصحيح:

٥٠% للقصة المرضية – وتشمل الشكوى الحالية السوابق المرضية والسوابق الإرثية والحالة الاجتماعية.

٢٥% للفحص السريري – وفي مثل اختصاصك يُعتبر التنظير الجزء الرئيس من الفحص السريري كما هي السماعة وجهاز الضغط عندنا.

٢٥% لبقية الإجراءات من مختبر وأشعة وغيرها في ذلك الزمن، إنما عليك الآن أن تستفيد من معطيات التكنولوجيا الطبية الحديثة مما لم يكن موجوداً في ذلك الزمن كالموجات فوق الصوتية والمرنان المغناطيسي.

اكتب تقريرك بعد خروجك مباشرة من غرفة العمليات اكتبه بنفسك وبخط إنجليزي مقطع كي يبقى مفهوماً لكل من يقرؤه. أما تقارير العيادة لمن يطلبها فيجب أن تكون صادقة وواضحة ومفصلة كأن من يقرأ التقرير يشاهد عرضاً سينمائياً.

انتبه من مروجي الأدوية واختر العلاج المضمون بعد أن تدرسه دراسة جيدة من كافة نواحيه وتتأكد من مصدره حيث صرنا في هذا الزمن نرى ونسمع كثيرا عن الأدوية المغشوشة ولا تطلب منهم علاجاً معيناً لأهل بيتك أو أحد أقاربك فإن ذلك يلزمك أدبياً أن تصف ذلك العلاج ولو غلا ثمنه كثيرا عن مثيلاته؛ ولا تنتظر أن تأتيك عينة مجانية لتعالج أحد المرضى من أفراد أسرتك بل اشترِ الدواء اللازم من الصيدلية كي لا يستفحل المرض بانتظار إرسال تلك العينة.

يجب أن تلتزم بقوانين البلد الصحية والقانونية والمالية؛ ولذلك أريدك أن تؤدي زكاة مالك بدقة وأن تدفع ضريبة دخلك برضىً؛ فالزكاة حق الله في الفائض من مالك الذي لم تستعمله لمدة سنة ويصرف على الفقراء والمساكين وغيرهم، أما الضريبة فحق الدولة في الفائض من دخلك لتساهم في بناء مؤسساتها، فلا تتهرب من الضريبة وادفعها راضياً رغم الهفوات التي تصدر أحياناً من موظفي الضريبة، فلك حق الاعتراض واللجوء إلى القضاء.

كل واحد منا حاول ويحاول أن يصل إلى القمة في اختصاصه؛ والوصول إليها ليس صعبا ولكنه يحتاج لزمن قد لا يكون طويلا. والقمة في مهنتنا ليست ذروة هرمة لا يتسع إلا لواحد يكاد يسقط في كل لحظة، بل متسع جميل يتحمل كل الجادين في الوصول إليه. ودرب القمة واسع ويتسع لكل من يسلكه بشرط أن لا يستعجل، أما عندما يصل إليها ويتربع على عروشها فلها آدابها وحسن سيرتها، فعليه أن يتحلى

العديد من آداب المهنة وقوة الشخصية والملاءة الاجتماعية، إنما عليه أن لا يتوقع الخلود فيها.

وأنت تصعد بخطىً وئيدة إلى القمة انظر إلى نفسك واستقم في سيرك ولا يهمك سلوك ومسلك غيرك، فندها تجد نفسك تلقائيا قريباً منها ثم تصلها بكل يُسر ودون عناء.

كان «جيلي الطبي» قد قضى على «برجوازية» الطبيب وشخصيته المتعجرفة وكلامه غير المفهوم وخطه الخرابيش وصار الطبيب جزء من المجتمع يعايش معه يحبهم ويحبونه ويقدم له أكثر مما يأخذه منهم؛ وبذلك استقامت أمور مهنتنا وأصبح أمل كل طالب متفوق أن يصبح طبيباً.

أشعر من صميم قلبي أنك راضٍ مرضي أدعو الله تعالى أن يحفظك ويرعاك وييسرك لليسرى، ولك محبتي.

الفهرس

مقدمة

لم أكتب هذه الرسالة لأنال بها درجة علمية فقد حصلت على شهادة الدكتوراه في الطب عام ١٩٥٧، كما أنني لم أكتبها لأكسب ثروة مادية أو شهرة معنوية، بل سلكت منهج من سبقني من الأطباء المسلمين الأوائل فدونت خبرتي في حقل الختان خلال مدة طويلة من ممارستي مهنة الطب العام لأضعها بين يدي من يجد نفسه بحاجة إلى ما فيها من معلومات نظرية وتطبيقات عملية.

راجياً من ذلك ثواب الله ورضوانه، تاركاً النقل والاقتباس مسموحا لمن أراد الفائدة العلمية سواء أشار إلى المصدر أم لم يذكره.

د. موفق عادل خزنة كاتبي

قصتي مع الختان

تخرجت من الجامعة ولم أشاهد أو أساهم في أي عملية ختان سواء لطفل وليد أو رجل كبير، بل كانوا يتركون ذلك لاختصاص جراحة الأطفال أو الجراحة العامة؛ كأن لم يكن المسئولون عن برامج التعليم في كليات الطب يعلمون أن تلك العملية الجراحية الصغرى تجري يومياً لملايين الأطفال في العالم الإسلامي، وبطريقة ثبتت مع الزمن، إنما أصبحت بحاجة إلى تطوير شأن الجراحة في بريطانيا فقد تطورت من صالون الحلاقة إلى جمعية الجراحين وقيل لنا إنها كانت تسمى سابقاً «نقابة الحلاقين والجراحين». ومن الصدف أن عمليات «الختان» بدأت واستمرت إلى نهاية القرن الماضي بأيدي الحلاقين، كان من أسماء الحلاق في بلادنا «المزّين»، وصارت كلمة المزين مع الزمن تعني «المطهَّر»، ثم انفصلت عن الحلاقين وصارت مهنة قائمة بذاتها يتوارثها الأبناء عن الآباء. وفطنت وزارة الصحة في بلادنا في منتصف القرن الماضي لتنظيم هذه المهنة فنظمت دورات «للمطهرين» علمتهم أصول التنظيف والتعقيم واستبدلت بعض الأدوات الخشبية «كالمسبار» مثلاً بأدوات معدنية، واستبدلت «الذرور» بمسحوق السولفا والرباط المأخوذ من قطعة قماش مستهلكة إلى الضمّادات النظيفة ولو غير معقمة. ثم تطورت تلك المهنة إلى أن صارت بيد اختصاصات جراحة الأطفال والجراحة العامة، ثم تعلم أطباء الطب العام الذين عملوا مُقيمين في المستشفيات، تعلموا الطهور الجراحي وصاروا يجرون تلك العملية في عياداتهم الخاصة. ومع ذلك بقي قسم كبير من المطهرين يجولون في الأحياء البعيدة حول المدن أو في القرى يحملون حقيبتهم التي كتبوا عليها «مطهَّر للأولاد» أو يجلسون عند مختار القرية أو حلاق القرية ليدعوا إليهم من يشاء أن يطهر ابنه فيذهبون إلى بيته ويطهرونه هناك.

كان من المألوف قبل منتصف القرن الماضي أن الطبيب إذا أراد أن يُطهَّر ابنه يُحضر المطهر إلى البيت ويأتي جاره ليمسك ابنه، كذلك كان من المألوف أن يستدعي الطبيب القابلة لتوليد زوجته في بيتها، ذلك لأن أكثرهم في ذلك الوقت لم يتعلموا الختان ولم يتدربوا على الولادات ماعدا الذين تخصصوا في النسائية والتوليد، ولذلك بقيت المستشفيات للولادات العسيرة أو النازفة حيث أضافوا بضعة أسِرّة في المستشفى الجراحي لهذه الغاية، وبقي الجراح في المستشفى يعالج نزف الطهور إذا حدث مع المطهر ولكنه لا يجري الطهور بالطريقة الجراحية إلا لخاصة الخاصة. وعلى ذلك فأمهاتنا ولّدتهن «الدّايات» ونحن طهّرنا «المطهرون»، والله أعلم بالنتائج.

وعتبنا على الزمن: إذ لم يطوِّر أطباؤنا المسلمون عملية الطهور خلال القرنين الماضيين بل بقيت كما كانت منذ أكثر من ألف سنة. إن المسلمين واليهود مأمورون بحكم العقيدة الدينية بإجراء الختان لأطفالهم، ولذلك طوروا في أمريكا طريقة «للختان» بالملقط الجرسي الذي يغطي رأس الحشفة كما سأشرح ذلك؛ أما

المسلمون فبقوا على طريقتهم التي استمرت منذ عدة قرون؛ وللطريقتين «محاذير» سأذكرها فيما بعد.

بالصدف وأنا طبيب مقيم في التوليد والجراحة النسائية سألني مدير المستشفى: هل أجريت عملية طهور، فأجبته بالنفي؛ قال إذن تذهب معي وأخذني إلى مستشفاه الخاص حيث كان سيجري عملية ختان لوليد عمره يومان، فتكرم عليّ وأخذني معه لأساعده ويعلمني؛ وفعلاً أجرى العملية بالطريقة الجراحية في غرفة العمليات إنما بدون تخدير فالطفل بكى كثيراً ونزف شيئاً من دمه «القاني» وخيطنا الجرح وانتهت العملية بعد أكثر من ساعة.

حصل في عام ١٩٥٨ وكنت حديث عهد بالعيادة الخاصة وفي الأيام الأولى لثورة العراق – التي حصلت في ذلك العام – أن تعطّلت المواصلات وانقطع الناس عن الدوام بسبب نقص وقود السيارات، فاغتنم الكثيرون الفرصة وأجروا عمليات ختان لأولادهم حسب الطريقة العادية بواسطة المطهرين وكان أكثرهم أطفالاً كباراً؛ وبالصدف أصيب كثير منهم بالنزف المستمر ولم يستطيعوا نقل أطفالهم إلى المستشفى، ولما كنت الطبيب الوحيد في محطة عمان آنذاك صاروا يحضرون الطفل إلى منزلي الذي ليس فيه وسائل الإسعاف اللازمة إذ كانت العيادة تبعد خمسة كيلومترات عن المنزل، ففكرت بسرعة ولا أملك أدوات جراحية في البيت ولا يستطيعون الذهاب بابنهم النازف إلى المستشفى لبُعدها، عندها أحضرت مسماراً صغيراً وسخّنته على لهب قطنة مبللة بالكحول وكويتُ الشريان النازف فانقطع الدم رأساً. وهكذا صار كل مصاب بنزف الطهور خلال تلكم الأيام يأتون به إلى المنزل وأقوم بقطع النزف – وطبعاً دون مقابل-، وشاع في عمان بعد انتهاء أزمة المحروقات أني أحسن من يقوم بقطع نزف الطهور، لذلك صار كل من نزف ابنه بعد عملية الطهور يحضره إلى عيادتي الخاصة وأقوم بما يلزم تماماً كما دوالي «وتيرة الأنف» إنما بواسطة مسمار صغير معقم دون حاجة اللجوء إلى الخياطة أو ربط العرق النازف.

بعدها طلب مني الكثيرون أن أجري عملية الطهور وأن آخذ أجوري مهما كانت، فكرت في ذلك وقلت في نفسي إني سأقطع رزق المطهرين، فقالوا خذ أجوراً أعلى وبذلك يأتي من يأتي إليك، أو يذهب إلى المطهر من يريده.

كان صديقنا «نزار جردانة» سيقوم برحلة عمل إلى لندن فأوصيته أن يحضر لي جهازاً «لكوي النزف» دون أن يعرف السبب، وفعلاً عاد ومعه جهاز «محوَّل» صغير لتحويل التيار الكهربائي من ٢٢٠ فولت إلى ١٢ فولت مع بعض الأدوات الصغيرة الملحقة بالجهاز، وأهداني ذلك الجهاز مشكوراً، وما زلت أستعمله من سنة ١٩٦٠ إلى الآن أكوي به نزف الختان أو دوالي الوتيرة أو استئصال الثآليل أو كوي ظاهر عنق الرحم عند السيدات إلى غير ذلك من الاستعمالات الكثيرة، ومازلت أستعمله وأشكره في نفسي بعد كل عملية أقوم بها، بعدها قررت أن أتقبل إجراء الطهور في العيادة بضعف أجر المطهرين. وأول شيء قمت به أني درست «تشريح وغريزة» العضو الذي سأجري عليه الختان؛ وراقبت المطهرين كيف يجرون عملياتهم وذلك في عمان ودمشق ومكة المكرمة، وأحضرت الأدوات اللازمة

للجراحة الصغرى من صنع ألماني، وأحضرت «الجهاز الجرسي» بأحجامه المختلفة من صنع أمريكي وخرجت بطريقتي الخاصة.

صار يأتيني أولاد في سن المدرسة وشباب قبل الزواج لإجراء عملية الختان ولا يريدون أن يدخلوا المستشفى خوفاً من التخدير العام، وكنت أعتذر، ثم فكرت لماذا لا أجري لهم العملية بالتخدير الموضعي وزيادة على ذلك لماذا لا أجري التخدير الموضعي بمادة «زايلوكائين» الممزوج «بالأدرينالين» أو مشتقاته؛ فدرست كل ما كتب عن التخدير الموضعي ومواده ومحاذيره، فخرجت بنتيجة وهي لماذا لا استعمل ما يستعمله طبيب الأسنان بالتخدير الموضعي «بالارتشاح»؛ إنما هنا لا يجوز تخدير النهايات إذا كان المخدر ممزوجاً بالأدرينالين، ولأن الأدرينالين يقبض العروق فقد يحصل التمّوت «الغنجرينا»، في نهاية العضو المخدَّر، وفائدة الأدرينالين هنا أن أثر التخدير يبقى مدة طويلة وأن الجرح لا ينزف؛ والحذر من دخول الأدرينالين والمخدر في أوردة ظهر القضيب أو الشريان، وكي لا يحصل هذا المحذور عليّ أن أحقن المخدَّر بعيداً عن الأوردة في الأعلى والشريان في الأسفل بل أحقنه في الجانبين تحت الجلد، وعلّي كذلك الحذر أن لا يدخل المخدر في الحشفة أو في الوريد العميق. أما إذا كان الطفل كبيراً فيجب فحص قلبه وضغطه كي لا يكون مصابا بآفة قلبية قد يسيء إليه المخدر الذكور.

أما موضوع «الغانغرين» فلم يكن ذا أهمية، ذلك أن العضو الذي يخشى عليه من الإصابة هو الجزء المقطوع الذي سنطرحه خارجاً أما باقي العضو فلا يصله المخدر.

من الأمور التي كنت أخشاها أن يكون الطفل مصاباً بمرض الناعور «الهيموفيليا» ولذلك عمدت إلى طريقة سهلة وهي أني إذا حقنت المخدر تحت جلد الناحية لتتخدر بالارتشاح ولم يحصل نزف في مكان الوخز بعد عشر دقائق فهذا يعني أن الطفل غير مصاب بمرض نزفي، على أنه في السنوات الأخيرة أصبح من توالي الولادة إعطاء الطفل v:tk حقنة في العضل، أما إذا استمر النزف من مكان حقن الإبرة فهذا يعني اضطراباً في آلية التخثر وأقف عن تتمة العملية وأضغط مكان النزف بقطعة شاش بين أصابعي وأعطيه ½ سم³ v:tk في العضل وأنصح أن يراجع أخصائي أمراض الدم، ومع ذلك فقد وجدت حلاً وقائياً لهذا الأمر وهو أن «لا أطهر» أي طفل إلا بعد الأسبوع الأول من ولادته على الأقل إلا إذا كان مضطراً لإجراء الختان خلال الأسبوع الأول كما لو كان الطفل سيسافر إلى الغرب بعد يومين من ولادته، فكرتُ كذلك في أن عملية الختان تُجرى على المسلمين منذ أكثر من ألف سنة، فلو كان الطفل مصاباً بالناعور لمات من جراء الختان ولذلك فإن هذا المرض غير موجود وبشكل ملفت للنظر عند المسلمين، أما الطفل المسيحي فإني أحقن المخدر وأنتظر مدة ١٥ دقيقة لألاحظ إذا حصل نزف شديد أو لا، فإذا حصل فأقطع النزف ولا أجري الطهور. على أنه وقد كنت أجريت ما يزيد على ٦٥ ألف طهور لم أجد هذه الحالة إلا عند ثلاثة أطفال اثنان منهما عند المسيحيين وواحد عند المسلمين، بعد ذلك صرت مطمئنا لإجراء عملية الختان التي أجريتها بمختلف الطرق وحسب الحجم فمنها ما يلزم خياطة الجرح وذلك عندما يكون العضو صغيراً جداً أو

كبيراً جداً. وقد أهدني صديقي د. مسلم قاسم السيرنج الخاص الذي يستعمله أطباء الأسنان مما سهل علي عملية التخدير.

حدث أن انكسرت «الشفرة» الصغيرة التي في جهاز «الكيّ» وأوصيت كثيرين من المسافرين إلى لندن ليحضروا مثلها فلم يسعفني أحد إلى أن سافر أخي عبد الله إلى لندن لتحضير رسالة الدكتوراه في القانون ولأنه كان يعرف الجهاز ويعرف بقية توابعه فقد أحضر لي مجموعة كافية من تلك الشفرات الكهربائية، حدث خلال تلك الأشهر وإلى أن أتتني الشفرات لاحظت وأنا عند كهربائي السيارات أنه يستعمل جهازاً كهربائياً للحام الأسلاك الكهربائية بالحرارة العالية في نهاية سلك الجهاز، ففكرت ماذا لو أخذت مثل هذا الجهاز «وبردته» وجعلت منه حافة حادة تشبه السكين الصغيرة بطول نصف سم. لذلك اشتريت مثل ذلك «الكاوي» من صناعة ألمانية وأجريت التعديل اللازم حتى أصبح أمضى من سكين الجراح فإذا ضغطت مفتاح التشغيل تصبح «النصلة» بحرارة عالية «تقطع وتُرقئ» النزف الذي قد يحصل وبذلك فلا لزوم لتعقيم الجهاز، فالحرارة العالية لا تبقي أية جرثومة على حافة النصلة، وبذلك استطعت أن أصل إلى ما أريد.

وبكل فخر كنت أول من استعمل طريقة الختان بالكي في العالم، وجاء كثير من الجراحين ليروا ما أعمل وكذلك جاء الكثيرون من المطهرين «مختفين» بحجة طهور طفل معهم وذلك ليروا الجهاز الذي سمعوا عنه وحتى أحد المستوردين أوصى على صنع مثل هذا الجهاز «تقليدياً» للألماني وصاروا يبيعونه على أنه جهاز الطهور الكهربائي ومن «اللطيف» أن مندوب وكيل الجهاز أتى يعرضه علي أنه الجهاز الحديث للطهور دون أن يدري أنني أنا صاحب الفكرة والتطبيق العملي لذلك الجهاز.

سمع أحد الجراحين أني أقوم بإجراء الطهور بالكي – وهو كي حروري- فقام بتطبيق ذلك باستعمال الملقط الجرسي وكي مكان القطع بجهاز التخثير وحيد القطب الموجود في غرفة العمليات فما كان إلا أن أصيبت الأعضاء «بصعق» كهربائي حرقها وشوهها بشكل معيب تحتاج إلى عملية تجميل خاصة. قدم الأهل شكوى إلى نقابة الأطباء وكنت الخبير المستشار وقلت لهم إني أجريت مئات العمليات بجهازي إلا أني أتعامل بالكي الحروري فأحول الطاقة الكهربائية إلى طاقة حرارية ليس لها أية مخاطر.

وبكل فخر كنت أول طبيب في العالم يخدر لعملية الطهور بالتخدير الموضعي مع الأدرينالين وقد طبقت ذلك ابتداء من طفل في اليوم الثالث من العمر إلى طهور رجل في الخمسين من عمره دون أي نزف أو التهاب ثانوي.

لا أكتب هذا للتفاخر بل أكتبه كي يلاحظ الأطباء الشباب أن الضرورة قد تبعثك على اكتشاف الشيء الجديد وأن الملاحظة الفاعلة قد تفتح لك مجالاً لاكتشاف وتطبيق الجديد عملياً.

وكنت على يقين أنه لو حصل عندي أي مضاعفات ولو لطفل واحد من بين «٦٥» ألف طهور أجريته لقامت الدنيا وقعدت واتهموني بالجهل والسعي للحصول

على السمعة الطبية والاجتماعية والمادية، لكني طبقت فكرتي هذه أول مرة على أولادي وأولاد أخي وأولاد أختي لأني كنت أثق بنجاحي في تلك الفكرة؛ وأكثر من ذلك بقيت سنوات طويلة لا آخذ أجوراً من أكثر من طهرتهم من زبائني أو معارفي حتى من آخر طفل يوم أمس.

أشير إلى أني أنصح شبابنا الأطباء أنه من الأفضل أن يجروا عملية الختان في النهار لا في المساء فربما حصل نزف ولو بسيط عند الطفل فيستطيع الأهل أن يراجعوا طبيبهم ليقطع النزف؛ أما إذا أجري الطهور ليلاً ونام الطفل فقد يفقد كمية كبيرة من دمه قبل انتباه الأم ورؤية الدم مما قد يحيج الطفل إلى نقل دم في الصباح.

لم أكن أنانياً فيما حصلت عليه من علم وسمحت لأي طبيب أن يأتي ويتعلم هذه الطريقة من الختان، وبالفعل أتى بعض الجراحين الشباب وكثير من أطباء الطب العام من الشباب والكبار وكذلك أتى بعض المطهرين إنما اشترطتُ عليهم أن يجروا أول عملية أمامي وبعد أن يراقبوني لعدة عمليات وأن يجروا العملية على أحد مرضاهم لا على أحد من مرضاي، وهكذا كان فقد تعلمها الكثيرون وكنت أشرح كل ما أعرفه عن الختان نظرياً وعملياً دون أن أخفي أية معلومة.

أتاني أحد الأطباء الأردنيين وكان يعمل في المملكة العربية السعودية وطلب مني أن يتعلم طريقتي، وبالفعل داوم عندي لمدة أسبوع بقي يراقبني كيف أعمل حتى صار مقتنعاً أنه يستطيع أن يجري تلك العملية بسهولة، وفعلاً أحضر أحد أقربائه وأجرى له «الطهور» أمامي بكل يُسر ونجاح. واعتبرته أتقن عمله ونصحته بشدة أن لا يجري العملية في المساء خشيَة النزف إذ إنه مبتدئ بهذه المهنة ولو كان متخرجاً من الجامعة منذ عشر سنوات، وتصورت نفسي وأنا أعظه بكل ما أعلم كأنني «شيخ الكار» كما نراه في المسلسلات التلفزيونية في دمشق، حدث بعد سنين أن ترك عمله في السعودية وعاد إلى الأردن وافتتح عيادة طب عام في إحدى البلدات البعيدة عن عمان، ولسوء حظه أجرى عملية ختان لأخوين كبيرين في المساء لكن أصيب الاثنان بالنزف الحاد، اتصل بي هاتفياً علني أستطيع أن أصله فأجبته أنه من الأفضل أن يترك سماعة الهاتف وينقل الطفلين بسيارته إلى أقرب مستشفى لمكان عيادته، وهكذا كان وأُسعف الولدان، لم أعد أرى ذلك الطبيب ولم أسمع عنه شيئاً منذ أكثر من عشر سنوات.

تكررت مثل تلك القصة وحصلت في أحد أحياء عمان البعيد عن عيادتي وفعلاً أصيب الطفل بنزف حاد، اتصل بي الطبيب ورجاني أن آتي لعيادته لإجراء اللازم، لكن كانت نصيحتي له والتي أكررها للأطباء دائما أنه في مثل هذه الحالة خذ «الولد» بسيارتك إلى أقرب مستشفى ولا تنتظر مجيء أحد.

حدثت مرة قصة غريبة لم أكن سببها بل تحملت مسئوليتها المادية، فقد حدث أن طلب أحد «المطهرين» المعروفين أن يتعلم طريقتي تلك وأنه سيجريها على ابنه البالغ خمس سنوات أو يزيد؛ وبالفعل أحضر ابنه وشرحت له الخطوات اللازمة، وأجريت أنا الخطوة الأولى الرئيسية وفصلت القلفة عن الحشفة بالمسبار ثم قبضت

رأس القلفة وضغطته بالملقط، ووضعت ملقط «كوشر» حول القسم الذي سنقطعه من القلفة وضغطته للآخر مما يدل أنه في مكانه الصحيح، ثم أزلته وقلت «للرجل المطهِّر» أعد ما أنا عملته و هذا علام الملقط يوضح لك مكان القطع، وفعلاً أعاده حسب الأصول، قلت له إذن أمسك الجهاز واقطع في المكان المطلوب وقرع جرس الهاتف فذهبت لأرد عليه وحينها كان الرجل قد قطع الجزء المطلوب والمُعلّم عليه من القلفة لكني لاحظت بعض الدم ينزف أكثر من اللازم وعندما أزلت الملقط تبين لي أن جزءاً صغيراً من رأس الحشفة قد قُطع بطول ١مم، عندها وضعت «قثطرة» في المثانة وأجريت الضماد اللازم وانقطع الدم وأعطيته حقنة عضلية مسكنة وحقنة عضلية مضادة للالتهاب وبقي في العيادة ساعة دون أي مخدر وخرج البول من القثطرة بسهولة فأعدته إلى منزله وطلبت منه أن يحضر الطفل في اليوم التالي. فوجئت أنا بالذي حصل لكن الممرضة قالت لي إنه عندما كنت أتكلم بالهاتف فإن «المطهِّر» فك الملقط وأعاده ثانية كي يتعلم وما درى أنه مسك جزءاً من رأس الحشفة.

أتاني أبو الولد في اليوم الثاني وقال أريد أن أضع ابني في المستشفى تحت المراقبة الطبية، فهل عندك مانع من ذلك، قلت لا، وفعلاً أدخلته المستشفى فقط ليطمئن الوالد وليجري له الضماد اليومي. علم بالقصة أحد جراحي المسالك البولية بحكم تردده على المستشفى واتصل بأبي الطفل وطلب منه أن يقدم شكوى إلى نقابة الأطباء، لكن الأب رفض وقال إن ابني بخير وأنا كنت السبب وليس الطبيب وهكذا انتهى الموضوع وكبر الولد دون أي مضاعفات.

الختان

تعريف – هو اصطلاح لعملية جراحية صغرى تُجرى بدون تخدير للأطفال حديثي الولادة في الأيام السبعة الأولى من أعمارهم؛ وبالتخدير الموضعي أو التخدير العام حسب الضرورة ومهما كان العمر، يلاحظ هنا أننا أدخلنا التعريف حسب معطيات هذا العصر.

ومن هذه العملية يتم قطع الجزء الأمامي من «القلفة» وهي الجلد المخروطي الشكل الذي يغطي الحشفة ويتعداها» وذلك لتظهر الحشفة بوضوح.

لمحة لغوية: الاصطلاح العلمي والشرعي لهذه العملية هو «الختان» وإذا أُجريت هذه العملية للبنات تُسمى «الخفض».

الختان شرعاً هو الجزء النهائي للعضو الجنسي عند الذكر والأنثى، وفي الحديث الشريف: [إذا التقى الختانان وجب الغُسل].

الحشفة: ويقال لها التمرة وهي القسم الأمامي للقضيب وسنذكره بوضوح في لمحة تشريحية.

القلفة: هي الجلد الذي يقطعه الخاتن.

الغرلة: هي اسم ثان للقلفة.

الأقلف: الرجل الذي لم يُختن.

الأغرل: وجمعها الغُرُل – الرجل الذي لم يختن.

يقال ختن الولد فهو ختين أو مختون.

الخاتن: هو الرجل الذي يقوم بعملية الختان.

المُطهِّر: اسم آخر للذي يجري الختان.

الختيانة – بالكسر- صناعة الختان.

الختيان – بالكسر – موضع القطع.

يقال أطحرت ختانته: إذا استُقصي في القطع.

العذار: الدعوة للطعام بمناسبة ختان الولد مثل الوليمة بمناسبة العرس.

سُنة: اسم عملية الختان باللغة التركية والخاتن يسمى سنتجي.

انجيلدماك اسلام: أي صار مسلماً – الختان في أندونيسيا.

سيركومسيشن - Circumcision – الختان في اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية.

القضيب: وهو العضو الناعظ عند الذكر، ويدعى عند العامة وخاصة في البلاد السورية «الحمامة». وقد ذكرتُ سبب هذه التسمية. وكذلك يدعى في بعض البلاد

العربيــة «الزبــرة» ولا أدري مــن أيــن أتــت هــذه التســمية. وفــي اللغــة الإنجليزيــة «Penis» وفي اللغة الفرنسية «Verge».

لمحة تشريحية: الذي يهمنا في تشريح القضيب هو ماله علاقة بالختان: وهذه الأعضاء هي:

الحشفة:«glans» والقُلفة Prepuce وغلف القضيب الأربعة و عروق القضيب وأعصاب القضيب:

أ- الحشفة- ويسميها العامة «التمرة» وتدعى كذلك «الكمرة» كما ورد في لسان العرب لابن منظور الإفريقي – المجلد الخامس، وقال المكمور من الرجال من أصاب الختان طرف كمرته، ورجل كمري إذا كان ضخم الكمرة، وامرأة مكمورة أي منكوحة.

والحشفة هي انتفاخ مخروطي أملس وردي تكون ذروته في الأمام مثقوبة بفوهة ينتهي فيها الإحليل تسمى «الصَّماخ البولي» وتكون قاعدته في الخلف تسمى «أكليل الحشفة» Corona glandis وتفترق عن جسم القضيب بثلم يسمى «الثلم الحشفي القلفي»؛ هذا الثلم يحيط بالحشفة ثم يمتد في أسفلها إلى الأمام حتى ينتهي في صماخ البول محدثا ميزابة في الحشفة يسكنها لجام جلدي يقال له «لجام القضيب».

ب- القلفة – هي غمد ناقص يحيط بقاعدة الحشفة وينزلق عليها، يتصل جسم القضيب في الأسفل بالقلفة بواسطة لجام القضيب، تستر القلفةُ الحشفة ويسهل إرجاعها إلى الخلف فتنكشف الحشفة إلا في بعض الحالات إذ تكون فوهتها الأمامية ضيقة فيقال لهذه الحالة «تضيق القلفة» Phimosis وتستدعي الختان.

بُنية القلفة- تتكون القلفة من امتداد غلف القضيب الثلاثة – الجلد والطبقة المنسلخة والطبقة الخلوية – على الحشفة. أما الجلد فإنه يسير إلى الأمام مكوناً وجه القلفة الظاهر ثم يلتوي فيبطنها ويستر الحشفة، ويصبح هنا شبيهاً بالغشاء المخـاطي، ثـم يتمـادى مـع غشـاء الـثلم الحشـفي القلفـي، وأمـا الطبقتـان المنسـلخة والخلوية فتدخلان باطن الحشفة وتمتدان حتى نهايتها الأمامية.

جـ- غلف القضيب الأربعة وهي:

١- الجلد – وهو رقيق متحرك مصبوغ ترى على وجهه السفلي خياطة متوسطة تتمادى مع خياطة الصفن.

٢- الطبقة المنسلخة: وتسمى بالعضلة حول القضيب، وتتكون من ألياف عضلية ملساء بعضها طولاني وبعضها دائري تبطن الجلد وتتمادى في الخلف مع طبقة الصفن المنسلخة.

٣- الطبقة الخلوية: تتكون من نسيج ضام رخو ومن عروق وأعصاب دقيقة، وهي تسهل انزلاق الجلد على القضيب.

٤- **لفافة القضيب-** و هي غلاف ليفي مرن يغشي الجسمين الكهفيين والجسم الإسفنجي ويتصل بها، كما يغلف عروق القضيب وأعصابه العميقة، يتمادى في الأمام مع غلاف الأعضاء الناغظة الأبيض، ويتمادى في الخلف مع صفاق العجان السطحي ومع الرباط معلق القضيب ومع قميص الصفن الليفي.

د- عروق القضيب- تقسم إلى شرايين سطحية وأخرى عميقة:

١- **الشرايين السطحية:** تروي غلف القضيب وتأتي من الاستحيائيين الظاهرين ومن العجاني السطحي ومن شريان ظهر القضيب.

٢- **الشرايين العميقة:** هي الكهفية والبصلية والإحليلية وشرايين ظهر القضيب، وتنشأ كلها من الشريان الاستحيائي الباطن.

يهمنا هنا شريان ظهر القضيب الذي يتوزع في الجسم الإسفنجي وفي الجسمَيْن الكهفيين، كما يكوِّن مع الشريان المقابل إكليلاً شريانياً عند قاعدة الحشفة فيرويها.

٣- الأوردة - تقسم إلى أوردة سطحية وأوردة عميقة:

أ. **الأوردة السطحية-** تأتي من غلف القضيب وتصب في وريد ظهر القضيب السطحي الذي يسير إلى الخلف ويصب في الوريد الخثلي.

ب. **الأوردة العميقة** – تجمع دم الأعضاء الناعظة وتصب في وريد ظهر القضيب العميق الذي ينتهي في الوريد الخثلي.

ج. **أعصاب القضيب-** تأتي من الأعصاب: التناسلي الفخذي وعصب ظهر القضيب والعجاني السطحي. وتأتي الأعصاب الودية من الضفيرة الموئية.

لمحة دينية – وُلد رسول الله ﷺ مختوناً

لم يرد ذكر الختان في القرآن الكريم، إنما ورد في الحديث الشريف ضمن حديث: خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد وقص الشّارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط. (أبو هريرة) (صحيح مسلم والبخاري).

في حديثه التلفزيوني «فتاوى على الهواء» لمفتي المملكة العربية السعودية: «عبد الله آل الشيخ».

بتاريخ ٢٠٠١/٧/٢٠ أجاب على سؤال بأنه: من يجري الختان دون خبرة أو صنعة ويموت الطفل فعليه كفارة مثل كفارة القتل شبه العمد.

كان نبي الله إبراهيم الخليل أول من اختتن من الأنبياء، فقد ختن نفسه «بالقدوم» وهو ابن ثمانين عاماً (الطبري- الجزء الأول- الطبعة الثانية – ص ٢٨٦).

وقد «أخفض» إبراهيم زوجته هاجر. (الطبري- ص ٢٥٤).

إن نبي الله عيسى عليه السلام اختتن وعمره ثمانية أيام. (لوقا- كتاب الفردوس المفقود- الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ ص- ١٢٧).

السؤال: هل كان ختان إبراهيم نفسه وهو في الثمانين من عمره وحياً أم اجتهاداً فردياً سيما وكان المصريون القدامى بما فيهم فراعنتهم يختتنون، في حين كان المجوس في العراق لا يختتنون، وقد أتى إبراهيم من تلك ولذلك بقي أقلف سنوات طويلة. والملاحظ أنه أنجب ابنه «إسماعيل» بعد ختن نفسه وخفض زوجته «هاجر». فهل علم من المصريين أن الختان ضروري لإنجاب الأولاد؛ سيما ولم يرد ذكر الختان في القرآن الكريم بل كان عادة بين العرب، اعتبره الرسول – أي الختان- سُنَّة للرجال: فكثير من مناسك الإسلام هي على «خُطى» إبراهيم الخليل، كان العرب قبل الإسلام يقدسونها كالطواف حول الكعبة مثلاً!

والملاحظ أن الإسرائيليين يختتنون، وقد ختنوا أنفسهم عندما اجتازوا سيناء – بزعمهم- إلى الأرض الطيبة – فلسطين -، ولما لم يجدوا آلة حادة تكفي لختن الجميع، قاموا بالختان بواسطة الحجارة التي «حفوها» لتصبح سكيناً أو سيفاً استعملوها في تنفيذ تلك العملية الجماعية. (دوني وزميله) وقد لاحظنا أن بعض الجزائريين يختتنون أولادهم بالسكين الحجري. (أظنهم أنا أنهم من يهود الجزائر).

وخلصت إلى نتيجة هي أن إبراهيم عليه السلام ختن نفسه، اجتهاداً خاصاً أبقاه الرسول الكريم، وبقي اليهود يختتنون استجابة لتاريخهم وبقي المسلمون يختتنون على عادة العرب بما فيهم المسيحيون، وأن «الطّهور» سنة مستحبة يقومون بتأديتها.

لمحة تاريخية – يمكن القول إن عملية الختان أقدم عملية في التاريخ إذ لاحظ العلماء الذين درسوا مومياء الفراعنة أنهم كانوا مختونين، ولاحظوا أن «امحوتب

الأول» لم يكن مختوناً كعادة الفراعنة وعللوا ذلك بسبب «ضعف بنيته» وأنهم خافوا عليه من النزف بسبب الناعور، (كما تشير الصورة والتعليق عليها في نشرة: medical news الجزء السادس رقم ٤.

ومن الثابت أن القبائل العربية كانت تختن الذكور وبعضها يختن الإناث قبل الإسلام. وكذلك سكان شمال أفريقيا وكانت الأقباط تختن الذكور والإناث.

كانوا في أندونيسيا يختنون أولادهم من قبل دخول الإسلام بلادهم؛ ثم بعد الإسلام صاروا يعتقدون أن الطهور ضروري ليصبح الرجل مسلماً، وأن من صفات المسلم أنه لا يشرب الخمر ومختون.

كان المجوس في العراق لا يختنون أولادهم ولذلك كره ابن عباس أكل ذبيحة غير المختون على ظن أنه لم يأت بالسنة أو ربما يكون من بقايا المجوس.

وفي كتب التاريخ أن بعضاً من حجاج ماليزيا قديما، كانوا عندما يصلون مدينة «جدة» يعيدون ختانهم ظناً منهم أنهم لم يكونوا خُتنوا حسب الأصول، وأدعى للبركة.

وفي جاوا قديماً كانوا يعتقدون أن الختان يعني الدخول في الإسلام ولذلك كانوا يسمون الختان (انجيلاماك إسلام) أي صار مسلماً. (إسلاميك انسايكلوبيديا).

وفي شمال إفريقيا كانوا إذا كانت «قلفة» الوليد قصيرة يعتبرونه ولداً مباركاً لأن الرسول محمد عليه السلام وُلد مختوناً.

وفي تركيا يسمون الختان «سُنّة» والذي يجري العملية «سُنَّتجي».

والغريب أن المرأة العربية قبل الإسلام كانت تعتز بأن زوجها مختون، فقبل معركة «ذي قار» قالت النسوة وهن يشجعن المقاتلين العرب أن لا يتركوهن سبايا للفُرس: الذين وصفنهم بأنهم غير مختونين وهم «الغُرل والقُلف».

وفي الطبري أنهم في معركة ذي قار وجدوا قبيلة «عجل» تقاتل وامرأة منهم تشجعهم وتقول:

(الطبري- الجزء الأول ص ٢٨٨).

إنْ يظفروا يحرَّزوا فينا الغُرل إيهـا فـداء لكـم بنـي عجـل

وفيها أن ابنة القرين الشيبانية نادت حين وقعت النساء على الأرض:

(الطبري الثاني ٢١٠).

ويْهاً بني شيبان صفاً بعد صف إنْ تُهزموا يصبغوا فينا القلف

وفي الطبري (الجزء الثاني ص ٢٤٠) كان الختان معروفاً عند العرب للذكور والإناث، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو ينكحوا منكحاً أوشكوا في نسب أحد ذهبوا به إلى «هبل» وبمائة دينار وجزور، فأعطوها صاحب القِداح الذي يضربها الخ الخ.

كان المسيحيون العرب في بلاد الشام وهم الغساسنة يختنون أبناءهم قبل الإسلام مع العلم أن الروم الحاكمين – وهم مسيحيون – لا يختتنون. وفي قصة هرقل إمبراطور الروم مع ملك الغساسنة ما يشير إلى ذلك؛ فقد سأله الإمبراطور – وكان مولعاً بالعلوم والتنجيم – عن واحد من العرب يبشر بدين جديد، من صفاته أنه مختون؛ فأجابه الملك الغساني أن الختان عادة عند العرب وأنه هو نفسه أي الغساني مختون.

وكذلك عرب العراق كانوا يختنون أبناءهم رغم أن حكامهم المجوس لا يختتنون، كما دل على ذلك أرجوزة النسوة يوم ذي قار. (وقد شرحتها قبلاً).

أحياناً يكون الختان دلالة على أن الرجل مسلم، ففي معركة الزلاقة في الأندلس في القرون الوسطى بين المسلمين بقيادة «يوسف بن تاشفين» وبين الأسبان النصارى بقيادة «الدفونس» ولكثرة عدد القتلى وحاجة كل فريق إلى دفن موتاه صاروا يميزون بين المسلم وغير المسلم بكونه مختوناً. انطبق ذلك على معارك العثمانيين وهم مسلمون مع الأوربيين في النمسا وهم مسيحيون خاصة وأن الفريقين المتحاربين كانا من أصحاب البشرة البيضاء، في حين وبعد معارك سيناء سنة ١٩٦٧ ولأن اليهود يختتنون فإنه – كما قرأت في الصحف آنذاك- كانوا يميزون بين قتلى الطرفين بلون أحذيتهم، إذ لم يستفيدوا من علامة «الختان للتمييز بين المسلم واليهودي».

وتذكر الأستاذة الدكتورة غيداء خزنة كاتبي في كتابها «الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري – الممارسات والنظرية» تحت عنوان: تدابير الأمويين تجاه الضرائب؛ القصة التالية: لاحظ «عُدي بن أرطاق» عامل الخليفة عمر بن العزيز على البصرة أن بعض أهل الذمة يتهربون من دفع الجزية بانتمائهم الظاهري إلى الإسلام، فكتب إلى الخليفة يستشيره «في قوم من أهل الذمة تعوذوا بالإسلام مخافة الجزية»؛ فرد عليه عمر قائلاً: فانظر من كان من أهل الذمة فأظهر الإسلام واختتن وقرأ سوراً من القرآن، فأسقط الجزية عنه، إن شاء الله.

شاهدت قبل سنتين مشهداً تلفزيونياً عن «بخارى» وفيه عرضوا المساجد والأسواق والمدارس؛ وكيف أن المدارس الإسلامية في الحقبة السوفيتية كانت تحت الأرض، وتكلم أحد المسنين قائلاً بأنهم نفوه إلى «سيبريا»: لأنهم اكتشفوا أنه أجرى عملية ختان لابنه حسب عادتهم الإسلامية.

في مشهد تلفزيوني من إحدى المحطات الفضائية كيف أن البلغار الشيوعيين عندما حصلت أزمة بين تركيا وبلغاريا وبدأ البلغار بتهجير الأتراك، وقفت فرقة من العسكر على خط سكة الحديد وأوقفت القطار وصارت تكشف عن أعضاء كل طفل فإذا كان مختوناً أنزلوه من القطار، ولا أدري ما فعلوا به بعد ذلك؟؟

ومن المؤسف جداً أن ينظر بعض زعماء فرنسا إلى الختان نظرة عنصرية وسأذكر القصة التالية تاركاً للقارئ الكريم تقييم مدلولاتها.

في خطابه عن منهاجه لو نجح في الوصول إلى «قصر الإليزيه» قال «لوبان: زعيم اليمن المتطرف أنه سيمنع الهجرة من إفريقيا لأن المهاجرين الإفريقيين

«يختتنـون» وبنـاتهم يضـعن الحجـاب، ولـيس فـي حضـارة فرنسـا وأوروبـا الختـان والحجاب وكأنه يخص بذلك المسلمين الإفريقيين كما علق بعض المتحدثين.

كان ذلك في ٢٠٠٧/٤/١٩ في مشهد في فضائية الجزيرة وهي تذبت نشره خاصة عن كل مرشح من المرشحين الأربعة الذين سينتخب الشعب الفرنسي واحداً منهم لرئاسة الجمهورية.

كانـت واحـدة مـن الأربعـة سـيدة حصـلت علـى المرتبـة الثانيـة وكانـت «ليبراليـة»، أمـا سـاركوزي الـذي حصـل علـى المرتبـة الأولـى فهـو مـن أصـل «مجري» هاجر أبوه من بلده إلى فرنسا أثناء الاحتلال السوفيتي لبلده. ويبدو أنه كان «ديغوليا»، وكان «لوبان» الأقل حظاً وبفارق كبير عن زملائه الثلاثة؛ مما يؤكد أن الشعب الفرنسي لا يعير تلك الآراء العنصرية أية أهمية لتبقى فرنسا بلـد الحريـة فـي مفهومهـا الواسـع. والغريـب أنهـم كـانوا يـذهبون إلـى مسـاكن الإفريقيين في محيط باريس يطلبون عنهم انتخابهم ليحققوا لهم بعض مطالبهم ويزيلوا منهم بعض مظالمهم.

ومن القصص التي لها علاقة بتاريخ الختان محاكمة الأفشين في زمن خلافة المعتصم بالله العباسي. وسأذكرها لطرافتها فكأننا نرى محكمة عسكرية في مشهد تلفزيوني، وفي عام ٢٢٢هـ.

كان «الأفشين» أحد أشهر القادة غير العرب في جيش المعتصم وكان تركي الأصل مـن بلـدة «أشروسـنة» معجبـاً بالمجوسـية والبوذيـة ويخفـي عقيدتـه بمبـدأ «التقية» فهو يتظاهر بالإسلام ويتفاخر بأنه لا يأكل الشاة المذبوحة بل يأكل المختنقة حيث يخنقها ثم يشقها نصفين بسيفه ويدوس على كل نصف منها قبل طبخها، وكذلك يتفاخر بأنه لم «يختتن» ولم «ينتف شعر العانة»، كان يصف العرب بصفات غير لائقة، وكان يقول إني دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء أكرهه حتى أكلتُ لهم الزيت وركبت الجمل ولبست النعل، غير أني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة يعني لم يطّلِ ولم يختتن.

حاول الأفشين قتل المعتصم وأركان دولته بالسُّم بعد أن دعاهم إلى وليمة في داره لكن المعتصم انشغل وغاب ولم يحضر بقية القوم بعد أن علموا أن هناك مؤامرة لقتل الجميع، ولما انكشف أمره سجنه المعتصم بسجن انفرادي وضع عليه حرساً خاصاً وكان يرسل له رغيفاً كل يوم كي يموت من الهزال وأمر بتشكيل محكمة خاصة لمحاكمته، يذكرها الطبري في الجزء العاشر ص ١١٠، وفي سياق المحاكمة قال له ابن أبي داوود: أمُطَّهرٌ أنت؟ قال لا: قال: فما منعك من ذلك، وبه تمام الإسلام، والطُّهور خُلُوٌّ النجاسة! قال: أو ليس في دين الإسلام استعمال التقية؟

قال: بلى، قال: خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت، قال: أنت تطعن بالرمح، وتضرب بالسيف، فلا يمنعك ذلك من أن تكون في الحرب، وتجزع من قطع «قلفة»؟ قال: تلك ضرورة تعنيني فأصبر عليها إذا وقعت، وهذا شيء استجلبه فلا آمن معه خروج نفسي، ولم أعلم أن في تركها الخروج من الإسلام، فقال ابن أبي

داوود؛ قد بان لكم أمره يا «بُغا» عليك به. ثم أخذ بمجامع القباء من عند عنقه ثم أخرجه من باب الوزيريّ إلى محبسه.

وكان أحمد بن أبي داوود دعا به في دار العامة من الحبس فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين (يعني المعتصم) أنّك يا حيدر «أقلف» قال: نعم؛ وإنما أراد ابن أبي داوود أن يُشهّد عليه، فإن تكَشّف نُسِبَ إلى «الخرع» وإن لم يتكشّف صح عليه أنه أقلف، فقال نعم أنا أقلف. وأراده أن يخرج ويتكشف أمام الناس إلا أن الأفشين رفض وقال يريد أن يفضحني، فالموت أحب إليّ من أن أتكشف بين أيدي الناس، فقال: أنت عندي صدوق وما أريد أن تكشّف، وقيل إنه لما مات كشف عليه المعتصم وتبين أنه غير مختون.

سأذكر هنا بعض ما ورد في كتاب الحيوان للجاحظ – الكتاب الأول – الجزء السابع- نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي؛ بعنوان: «الختان عند اليهود والمسلمين والنصارى»:

وزعم ناسٌ من أطباء النصارى وهم أعداء اليهود، أن اليهود يختنون أولاد هم في اليوم الثامن وأن ذلك يقع ويوافقه أن يكون في الصحيحين – معنى هذه الكلمة الصيف والشتاء في أشد حالاتهما- «كما يوافق الفصلين» وأنهم لم يروْا قط يهودياً أصابه مكروه من قبل الختان، وأنهم قد رأَوا من أولاد المسلمين والنصارى ما لا يحصى ممن لقي المكروه في ختانه إذا كان ذلك في الصحيحيْن من ريح الحُمرة – وهو ما نُسميه الآن مرض الحُمرة Erysipelas – ومن قطع طرف الكمرة – الحشفة- ومن أن تكون الموسى حديثة عهد بالإجراء وسقي الماء فتُشيط ذلك الكمرة ويعتريها برص أي التهاب، والصبي ابن ثمانية أيام أعسر – أظنها يجب أن تكون أيسر – «ختاناً»، من الغلام الذي قد شب وشدن وقوي، إلا أن ذلك البرص لا يتفشى ولا يعدو مكانه وهو في ذلك كنحو البرص الذي يكون من الكي وإحراق النار فإنهما يفحشان ولا يتسعان.

ويذكر تحت عنوان «ختان أولاد السفلة وأولاد الملوك وأشباههم».

ويختتن من أولاد السفلة والفقراء الجماعة الكثيرة فيؤمن عليهم خطأُ الخاتن وذلك غير مأمون على أولاد الملوك وأشباه الملوك، لفرط الاجتهاد وشدة الاحتياط (وهو ما نسميه فيما بيننا الأطباء مرض التوصية Recomonditis) ومع ذلك يزمع –أي يندهش- ومع الزمع والرَّعدة يقع الخطأ، وعلى قدر رعدة اليد ينال القلب من الاضطراب على حسب ذلك. وليس من التدبير أن يُحضر الصبي والخاتن إلا سفلة الخدم ولا يحضره من يهاب.

وعبر الزمن مات الكثير من أبناء المسلمين بسبب النزف بعد عملية الختان؛ ونحن الآن نعرف الأسباب ونتخذ الاحتياطات اللازمة، وهم لم يكونوا يعرفون مرض النزف عند الوليد بسبب نقص v:t:k، ولم يكونوا يعرفون مرض الناعور «الهيموفيليا» والذي تنقله الأم وراثة إلى الأطفال الذكور فيصاب أكثر من طفل لتلك الأم بالنزف ويموت الطفل ويتصور الأب أن شيئاً غريباً عند الأم سيما وأنهم كانوا يتزوجون أكثر من واحدة فيموت أطفال تلك الزوجة عند الختان ولذلك أرى قلة

الإصابة بالناعور عند المسلمين الآن، حيث ماتوا مع الزمن فقد كانوا يتزوجون من نفس العائلة أو القبيلة ثم صاروا «يغربون النكاح» (حسب المندوب في الشريعة الإسلامية) فقلّت الإصابة بالناعور.

وفي صورة شعاعية «لمومياء» (أحموس الأول) ابن (سيناتاو) توضّح صورة الحوض أنه غير مختتون وهذا على عكس ما كان عليه أكثر المصريين، و هذا يجعلنا نظن أن ذلك الفرعون كان معتل الصحة وربما كان مصاباً بالناعور ولذلك لم يختتنوه.

استطباب الختان

المقصود بهذا العنوان متى يجب أو يمكن إجراء الختان عند غير المختونين سابقاً سواء من المسلمين أو غيرهم، أي أن ننظر إلى إجراء الختان من الزاوية الطبية فقط.

١- تكرار الإصابة بالمونيليا أو التريكوموناس عند البالغين أو المتزوجين حيث تبقى تلك العوامل الممرضة في باطن القلفة والتي تكون بحُكم الإفرازات والرطوبة مكاناً جيداً لنمو تلك الجراثيم والفطريات وبذلك تصبح العدوى الذاتية أو الغيرية قائمة وواردة وبحاجة إلى معالجات جذرية. وبحالة الزوجة المصابة بالتريكوموناس – ومهما كان مصدر العدوى – لابد من إعطاء الزوجة معالجة مفرطة كي لا تصبح العدوى متبادلة؛ ورأيت مع الزمن أن من أفضل الأمور هو إجراء الختان للزوج واستمرار معالجة الزوجة مدة كافية، وبذلك يتم الشفاء.

٢- تضيق القلفة الأمامي – وسببه تضيق خلقي في فتحتها الأمامية، وفي هذه الحالة نفضل أن لا نحاول توسيعها قليلاً وردها إلى الخلف إذ قد تعود إلى الثلم الحشفي القلفي وتثبت وبذلك يحصل التضيق الخلفي (بارافيموزيز) حيث لابد من إجراء جراحة سريعة لأنه في مثل هذه الحالة تضغط القلفة الضيقة على القضيب وتسبب احتقاناً شديداً يتورم فيها القضيب ويضغط على الإحليل، وقد يصاب بانقطاع البول وامتلاء المثانة بالبول حيث يجب إفراغها بحذر شديد.

رأيت هذا التضيق الأمامي كثيراً وقمت بإجراء الختان دون محاولة إرجاع القلفة إلى الخلف، ولابد من الانتباه الشديد خوفاً من قطع جزء من رأس الحشفة.

٣- طول القلفة المفرط- رأيتها كثيراً وتسبب التهاباً متكرراً في الفتحة الظاهرة أو شكلاً من أشكال التحسس مما يضطر الطفل الكبير إلى سحبها وتحريكها دوماً، وتكون سببا «في العادة السرية» عند البلوغ.

٤- رضّ أو جرح القلفة – وخاصة عند الأطفال، شاهدت هذه الحالة عند الأطفال حيث عضّ الولد خصمه من عضوه التناسلي فسبب له نزفاً مما استدعى إجراء الختان بسرعة وإعطاء الطفل مضاد النشاط الحيوي. وحالة أخرى عض فيها الكلب طفلاً غير مختون فجرح القلفة ونزفت بعض الشيء وقمت بإجراء الختان بسرعة وأعطيته مضاد النشاط الحيوي ولم أرسله إلى مكافحة داء الكلب، وشفي خلال ثلاثة أيام، شاهدت حالتين طريفتين إذ علقت القلفة عند الطفل غير المختون وكان عمره سبع سنوات أثناء رفع سحاب «البنطلون» وحاول الأهل كثيراً فكها ولم يفلحوا حتى إنهم راجعوا أحد الخياطين ليقصها ولم يفلح وعندما أحضروه إلى العيادة أجريت ختان الطفل بدقة شديدة وبذلك انتزعت السحاب والقلفة معاً دون أي محذور.

٥- التصاق القلفة الخلفي في قاعدة الحشفة فلا تبرز الحشفة جيداً عند التبول، وكانت المعالجة إجراء الختان وتسليخ الالتصاق بحذر وتكرار الضمادات لمدة أسبوع كي لا تعود إلى الالتصاق ثانية.

٦- شاهدت قليلاً كيسات دهنيـة صغيرة على القلفة قرب الفتحة الأمامية، كان العلاج إجراء الختان.

٧- لم أشاهد أوراماً سليمة أو خبيثة عند آلاف الأطفال الصغار المختونين وغير المختونين على مدى خمسين عاماً من الممارسة.

في كتابه «حياتنا الجنسية» الطبعة الثامنة عشر سنة ١٩٨٣ صفحة ٣٩ يقول «د. فريدريك كهن» أن الختان يجب في: انحباس الحشفة، ضيق القلفة. ولم يذكر غير ذلك.

كتب د. بنجامين سبوك في كتابه الشهير «الطفل والعناية به Baby and child care**» موضوعاً واسعاً عن الختان تحت عنوان رئيسي «القضيب** Penis**» وقد عرف الختان بأنه «قطع الكم من الجلد الذي يغطي رأس القضيب» وشبّه عملية الختان بعملية شق الشفة السفلي –شفة الذئب – وغيرهما من العمليات التي من الأفضل إجراؤ ها للطفل قبل أن يكبر. وشرح بعض الشيء عن القلفة، حيث يفرز وجهها الباطن مادة تدعى «سميجما** smigma**» وهي مادة بيضاء جبنية القوام تصبح بيئة جيدة للجراثيم التي تتكاثر فيها مما تسبب تخريباً والتهاباً ثانوياً، كما لاحظ بعض العلماء أن النساء اللواتي أزواجهن «غير مختونين» يكُنَّ أكثر عُرضة للإصابة بسرطان عنق الرحم من النساء اللواتي أزواجهن مختونون، ورد ذلك إلى وجود تلك المادة.**

تساءل د. سبوك هل يجب أن يختن الطفل الذكر؛ بمعنى هل الختان ضروري للطفل الذكر وذلك بعيداً عن النظرة الدينية للأمر كما عند اليهود والمسلمين. فإذا كان الجواب نعم؛ فإنه يُفضّل إجراء العملية في الأيام الأولى لولادة الطفل وقبل أن تغادر أمه المستشفى؛ وشرح بالتفصيل كيفية إجراء الضمادات اللازمة للطفل المختون.

أما إذا كان الجواب لا فهناك حالتان؛ إما أن يُترك الطفل وشأنه، كما هو الحال عند أكثر أطفال العالم – حسب رأيه – حيث تتوسع الفتحة الأمامية للقلفة تلقائياً وتدريجياً؛ وذكر أن الطفل بين السنة الثالثة والسادسة من عمره يكتشف عضوه التناسلي فيبدي اهتماماً زائداً به فيخاف عليه ثم يتعود اللعب به مما يؤهبه إلى الاعتياد على اللذة Musterbation**.**

أما الحالة الثانية: إذا بقي دون ختان وفكر الأهل أن يختنوا طفلهم عندما يكبر فيجب على الأم أن تغسل قضيب الطفل يومياً وبرفق شديد كي لا تتخرش القلفة؛ وهو هنا يفصل كيفية عمل تلك النظافة.

وقد اهتم بالختان من منظورين: نفسية الطفل الذي يختتن وهو كبير ونظافة الأعضاء التناسلية للطفل الذي لم يختتن؛ وإنه ولهذه الأسباب: نفسية الطفل الكبير

ونظافة أعضائه وخوفه على الطفل من أن يعتاد على «اللذة» فإنه يفضل إجراء ختان الطفل بعد ولادته.

كتبت هذا من كتاب «الطفل والعناية به» وببعض الاختصار وبعض التصرف في الترجمة فمثلاً لم أجد ترجمة لكلمة «Musterbate» عند الطفل إلا ما كتبته؛ ود. سبوك لم يمارس مهنة الختان بل كان ما كتبه عبارة عن «بحث علمي» أقرب إلى الواقع والصحة. وقد قرأت الكتاب وأنا طالب في السنة الأولى من كلية الطب وفي العطلة الصيفية عندما كنا نعود إلى أهلنا في عمان فكانت مسلاتنا الإكثار من القراءة المتنوعة، صدرت الطبعة الأولى في عام ١٩٤٦، وأعيد طبع الكتاب سبع مرات في حياته ومرتين بعد وفاته، وترجم الكتاب إلى ٢٩ لغة ومنها اللغة العربية وبيع منه في الولايات المتحدة ٥٠ مليون كتاباً.

ولد د. سبوك سنة ١٩٠٣ وتوفي سنة ١٩٩٨ وقد شاهد أول سيارة وكذلك ولادة الانترنيت، وله عدة كتب قيمة بحث فيها في نفسية الطفل وتربية الطفل وعلاقته بوالديه وبالمجتمع.

بلغ عدد مؤلفاته ثمانية منها خمسة له وحده وثلاثة بالاشتراك مع غيره من المؤلفين، ولإعجابي بالدكتور سبوك كتبت هذه الفقرة الموجزة عن حياته العلمية. وله سيرة ذاتية «مشرّفة» يلمسها القارئ من خلال ما كتب في مؤلفاته، منها مثلاً أنه كان متفوقاً في رياضة التجديف وحصل على الميدالية الذهبية في العشرينات من القرن الماضي.

ذكرت صحيفة الدستور في سنة ٢٠٠١ عن وكالة (اف. ب) من واشنطن الخبر التالي:

وقف الختان المنهجي للذكور في الولايات المتحدة

تلقى الختان الذي كان يجري تطبيقه على معظم الذكور الأميركيين في الأيام الأولى بعد مولدهم، ضربة في الولايات المتحدة حيث اعترفت أخيرا أكاديمية أطباء الأطفال الأميركيين الواسعة النفوذ «بأنه ليس أساسيا لصحة الطفل».

ففي مقال نشرته لجنة من الأكاديمية في مجلة «بدياتريكس» اعترفت بأن الفوائد الصحية المحتملة من جراء هذه العملية التي تقضي ببتر القلفة «ليست كافية للتوصية بإجراء الختان المألوف بعد مولد» الطفل.

والولايات المتحدة هي آخر دولة متطورة طبيا تمارس هذه العملية على معظم المواليد الذكور لأسباب غير دينية، في الستينات أجريت هذه العملية لأكثر من ٨٠ في المائة من المواليد الجدد. وفي ١٩٩٥، بلغت نسبتهم ٦٤ في المائة كما أفادت الأرقام الأخيرة «للمركز الوطني للإحصاءات الصحية».

وأفاد استطلاع للرأي نشر في كانون الثاني الماضي في ملحق «بريتش جورنال اوف يورولوجي» وشمل أميركيين مختونين لأسباب غير دينية، أن ٦٠ في المائة منهم يشعرون بأنهم مشوهون وأن نصفهم يعاني من عقدة الدونية حيال غير المختونين.

وفي مواقفها السابقة، أشارت أكاديمية أطباء الأطفال الأمريكيين التي لم تصر مع ذلك على فرض الختان، إلا أن بعض الدراسات أقامت رابطا محتملا بين الحفاظ على القلفة وبين التهابات المسالك البولية أو سرطان العضو التناسلي، لكنها تعترف اليوم بأن هذه المخاطر ضئيلة.

وتنتقد الأكاديمية في المقابل الطريقة التي غالبا ما تعتمد لإجراء الختان، إذ تجري ٥٥ في المائة من هذه العمليات بلا تخدير.

لذلك أكدت دراسات عدة أن «المواليد الجدد المختونين بلا تخدير يشعرون بالألم وبتوتر عقلي» يقاس خصوصا بتغييرات في وتيرة خفقات القلب والتوتر الشرياني كما تؤكد الأكاديمية التي باتت توصي باعتماد التخدير الموضعي. أما أنا فلم أجد ذلك على آلاف من المختونين دون تخدير موضعي أو عام حتى ومنهم من كان كبيراً.

ولا تسدي الأكاديمية نصائح أخرى، وفي شأن الختان ذاته تضع الطرفين وجها لوجه قائلة «نشجع الأهل على أن يناقشوا الأمر مع أطباء أطفالهم (...) وعلى أن يتخذوا بعد ذلك قرارا مستنيرا لما فيه المصلحة الأفضل لأطفالهم.

يقول أحد «علماء نفس الطفل» من الأمريكيين أنه إذا كان الطفل يعيش في بيئة أكثر أطفالها مختونين فالأفضل أن يجري الأهل ختان طفلهم. وإلا فليتركوه وشأنه يقرر ما يريد عندما يكبر.

الختان يقي من الإيدز

واشنطن – رويترز- قال باحثون يوم الثلاثاء إن الختان يساعد في وقاية الرجال من الإصابة بالفيروس المسبب لمرض الإيدز لكنه ربما يزيد احتمالات أن ينقل رجل يحمل الفيروس بالفعل ولم يشف عضوه التناسلي تماما بعد إجراء الختان في نقل العدوى إلى امرأة. ونشر باحثون يعملون في أوغندا نتائج أولية عن دراسة أجريت على ٩٩٧ رجلا مصابا بفيروس «اتش. أي. في»، وأشارت إلى أن المرأة التي تدخل في علاقة جنسية مع رجل لم ينتظر حتى يشفى تماما بعد إجراء الختان تكون فيما يبدو عرضة لمخاطر أكبر للإصابة مقارنة بممارسة الجنس مع رجل مصاب لم يجر الختان. وقالت الدكتورة جوليا جونز بجامعة هوبكنز في بالتيمور التي تشرف على الدراسة للصحفيين «نتفق تماما أن هذا يجب ألا يستخدم في التقليل من أهمية القيمة الهائلة لختان الذكور في الوقاية من الإصابة بفيروس اتش. أي. في لدى الرجال».

وتشكل النساء أغلبية المصابين بفيروس «اتش. ي. في» في إفريقيا حيث ينتشر الفيروس بشكل كبير عبر الجنس بين الرجل والمرأة.

وينتظر أن تكتمل الدراسة خلال عامين. وصدرت النتائج الأولية في سويسرا حيث يبحث مسؤولون عن الصحة بالأمم المتحدة التوصيات المتعلقة بالختان، ويعتقد قادة الصحة العامة أن الختان ربما يكون وسيلة ناجحة للحد من الإصابة بفيروس «اتش. أي. في» في إفريقيا وهي القارة الأكثر تأثرا بالإيدز، وأوضحت ثلاث دراسات إفريقية سابقة أن الرجال الذين أجري لهم الختان تقلّ احتمالات إصابتهم بفيروس نقص المناعة المكتسب بنسبة تتراوح بين ٥٠ و ٦٠ في المئة.

ويقول خبراء إن انحسار المخاطر ربما يعزى إلى أن الخلايا داخل القلفة وهي الجزء الذي يستأصل من القضيب في عملية الختان أكثر عرضة للإصابة بفيروس اتش. أي. في. كما أن فيروس «اتش. أي. في» ربما يبقى بدرجة أفضل في البيئة الدافئة الرطبة أسفل القلفة.

(الدستور – عمان العدد ١٣٣٠٦ تاريخ ٢٠٠٧/٣/٨)

في ٢٠٠٦/١٢/١٥ نشرت محطة الجزيرة الفضائية في أحد أخبارها المصورة موضوعاً عن الإيدز وانتشاره في إفريقيا وخاصة جنوب الصحراء الكبرى، وقالت إن نسبة الإصابة بالإيدز تقل بمقدار ٥٣-٥٨% عند المختونين عن غيرهم من غير المختونين عند الشباب.

رجحت أنا أن يكون السبب في خفض النسبة ليس للصفة التشريحية للعضو التناسلي المختون بل لأن المختونين هم مسلمون وأن «الزنا» محرم في الشريعة الإسلامية.

كشفت أبحاث طبية حديثة النقاب عن أهمية الختان في الوقاية من مرض نقص المناعة المكتسبة «الإيدز». إذ تبين أن مخاطر الإصابة بالإيدز لدى الرجال المختونين هي أقل من غيرهم بما يصل إلى ثمانية أضعاف. ونقلت المجلة المختصة «التطبيق الطبي» التي تصدر في ميونخ في عددها الجديد هذه الخلاصة عن دراسة أدارها الباحث روبرت بايلي من جامعة إيليويس في شيكاغو:

وأوصت دراسة بايلي بإجراء عمليات الختان للرجال في إفريقيا وآسيا من أجل مكافحة تفشي الإصابة بالإيدز فيهما. وسبق للطب الحديث أن توصل إلى مزايا الختان في الوقاية من سرطان العضو الذكري وفي تحقيق نظافة ملائمة العضو. (جريدة الدستور عن قدس برس – فينا ٢٠٠١م).

بتاريخ ٢٠٠٧/٦/١٠ نشرت بعض الفضائيات وإذاعة لندن أن لجنة مكافحة الإيدز في إفريقيا السوداء والمنبثقة عن الاتحاد الأوروبي أوصت بأن يجري ختان كل المواليد الجدد والأطفال الصغار جنوب الصحراء الكبرى واعتبروا أن هذا الأسلوب سيكون أفضل طريقة لتقليل سراية المرض في المستقبل؛ إذ إن زوال القلفة في الطفولة الأولى والتي تكون المأوى المناسب لفيروس الإيدز يقلل أو يزيل المأوى المناسب لمجموعة الأمراض التي تنتقل بالجنس.

كأنهم بذلك يجرون «لقاحاً» بشرياً من نوع لم يستعمل من قبل لمنع السراية عندما يكبر الطفل ويصبح في سن البلوغ.

بقي أن أذكر أن هذه العملية تجري بدافع العقيدة الدينية بالدرجة الأولى دون النظر إلى أنها مفيدة أو غير مفيدة؛ وهي أكثر عملية صغرى تجري في العالم يومياً؛ ولابد والحالة هذه من إعطائها ما تستحق من الرعاية والاهتمام، وإنه رغم ما كتب عن عملية الختان في الكتب الطبية (وهو قليل) أو ناقشته المجلات الطبية (وهو أقل) ورغم تعرض الطفل في السابق إلى النزف أو الالتهاب مما أودى بحياة الكثيرين من الأطفال على مر الزمن، فإن هذه العملية ستبقى إلى أن يرث الله الأرض وما عليها؛ ويبقى من واجب الأطباء رعايتها وتطويرها مشاركة منهم في خدمة مهنتهم ومجتمعهم.

مضاد استطباب الختان

يمكن أن نطلق هذا الاصطلاح على تأجيل عملية الختان إلى حين، فإذا ما احتاج الطفل بعدها إلى عملية ختان فيجب أخذ الاحتياطات اللازمة عند إجرائها؛ وقد يكون التأجيل أياماً معدودات أو سنين طويلة.

١- التهاب جلد الصفن بالمونيليا أو وذح الثنيات «إنترتريكو» إذ تؤجل العملية إلى ما بعد معالجة عامة أو موضعية.

٢- اليرقان – سواء كان غريزياً أو إمراضياً – نجري العملية بعد المعالجة والشفاء.

٣- صغر حجم القضيب المفرط أو صغر حجم الصفن في حالة الخصيتين الهاجرتين – نؤجل العملية إلى حين إجراء عملية الخصية الهاجرة ويقوم جراح المسالك البولية بختان الولد في نهاية العملية، كي لا ينسحب القضيب الصغير إلى الداخل فيحصل تندب معيب بعد العملية يسبب تضيقاً شديداً في الفتحة الأمامية للقلفة.

٤- وجود فتق كبير إربي يسبب عدم توازن بين حجم القضيب والصفن – ننصح بأن يُجرى الختان في سياق عملية رتق الفتق.

٥- الإحليل التحتي – حيث تكون فوهة مجرى البول الظاهرة مفتوحة في منتصف الوجه السفلي للقضيب – ننصح بإجراء الختان بعد عملية تصليح حالة الإحليل، حيث تبقى الحشفة مكشوفة من الجانبين وربما احتاج الجراح إلى القسم الموجود من القلفة لتصليح ذلك الخلل.

٦- الأمراض الدموية التي تسبب النزف – كمرض الناعور أو نقص الصفيحات الدموية وغير ذلك من تلك الأمراض – يمكن إجراء العملية بحذر في المستشفى وليس في العيادات.

٧- ازدياد النسيج الدهني في قاعدة القضيب مما يسبب صغراً ظاهرياً في حجم القضيب وبالتالي يمكن أن ينسحب إلى الداخل ويحصل تندب معيب في جرح القلفة مما قد يسبب تضيقاً شديداً في الفتحة الأمامية وقد يسبب عسرة التبول. يفضل في مثل هذا الطفل تأجيل الختان إلى ما بعد السنة الرابعة من العمر حيث الطفل بعد السنتين يميل إلى الطول لا إلى العرض»، تشاهد هذه الحالة عند الأطفال الأصحاء أو المصابين بفرط الوزن ولم يُختنوا في الأشهر الأولى من العمر.

اعتقاد خاطئ في مفهوم الختان عند الذكور والإناث

١- يعتقد الكثيرون من الناس أن هناك علاقة بين الهزال المستمر عند أحد الأطفال و بين الختان و لذلك يتناصحون بإجراء عملية الختان لذلك الطفل كي ينمو بسرعة ويدللون على ذلك ببعض الشواهد.

ليس لهذا الرأي مستند علمي إذ قد يكون الطفل الهزيل مصاباً بأحد أمراض نقص التغذية الكمي أو الكيفي أو الاثنين معاً أو مصاباً «بالقمه النفسي»؛ فربما كان «للدلال» الذي يحاط به الطفل المصاب بالحالة الأخيرة مع ما يُغدق على الطفل المختون من أنواع الأغذية والحلوى لعدة أيام أو عدة شهور بعد الختان ما يعلل ذلك إن حصل.

٢- يعتقد الكثيرون أن الطفل الكبير إن مات قبل الختان فإنه يموت كافراً ويتحمل الأهل وزر ذلك.

نقول إن الختان سنة وليس له علاقة بإيمان الولد أو كفره.

٣- يتبع ما سبق فإن خوف الأهل الذين لهم طفل مصاب بإعاقة عقلية أو تشوه خلقي في القلب من أن يموت كافراً فإنهم يصرون على ختان طفلهم رغم نصائح الطبيب في الحالة الثانية خاصة إذا كانت الإصابة شديدة ولا يُقدّر للطفل أن يعيش طويلاً.

٤- يعتقد البعض أن الختان هو المرحلة في أن يصبح الطفل مسلماً، ويشير بعضهم بهذا بعد انتهاء عملية الختان بقولهم للطفل: الآن أصبحت مسلماً حقاً؛ وهم بذلك يخلطون بين الختان عند المسلمين وتعميد الطفل عند النصارى.

٥- بعدما صرت أجري الختان بدون دم وبدون ألم سرتْ شائعة في عمان كان مصدرها المطهرون أن لا يُقبل مثل هذا «الطهور» لأنه لم تجر فيه الدماء، وقد حادثني الكثيرون من المثقفين بهذا الموضوع، وهم بذلك يخلطون بين الأضحية التي لا بد أن يسيل دماؤها ولا يجوز قتلها خنقاً أو صعقاً وبين عملية الختان التي من الأفضل أو الأكثر ثواباً «للمطهَّر» أن لا يتألم الطفل ولا تنزف دماؤه العزيزة.

٦- يظن البعض أنه إذا كانت «قلفة» المولود قصيرة فإن ذلك نوع من «البركة» لأن الرسول عليه السلام ولد مختوناً؛ ويسمونه «طهوراً ملائكياً».

الواقع أن القلفة القصيرة قد تكون عادية كأن تكون فوهة الإحليل ليست في منتصف أو ذروة الحشفة بل مفتوحة إلى الأسفل قليلاً وبذلك تكون القلفة في الأعلى تغطي بعض القسم العلوي فقط. هذه الحالة لا تحتاج إلى جراحة تجميل أو جراحة علاجية؛ ولا تمنع النسل.

٧- في الريف المصري يعتقدون أنه لا يجوز للمرأة غير المختونة أن تمسك السكين وتذبح الطيور بأنواعها وبذلك لا يأكلون ما تذبحه؛ ومن هنا جرى

اصطلاح تقوله المرأة التي ذبحت دجاجة مثلاً أنها «ظاهرة» أي مختونة؛ وهذا ما سمعناه كثيراً من المصريات عندنا.

يمكن القول إن هذه الأفكار منتشرة في إفريقيا شمالها ووسطها، وقد يكون هذا من أسباب استمرار ختان المرأة في مصر والسودان وغيرها من بلدان إفريقيا.

العمر والزمان المفضلان لإجراء ختان الطفل

اعتاد الناس في القرن الماضي أن يختنوا أطفالهم في اليوم السابع لولادته أثناء احتفالهم بالأسبوع الأول «للنفساء» توفيراً لتعدد الحفلات، وكذلك ظناً منهم أن الطفل لا يتألم في الأيام الأولى «لحياته» وأنه أسرع للشفاء. واعتاد أطباء التوليد في السنين الأخيرة أن يختنوا الطفل الوليد في اليوم الثاني لولادته قبل خروجه من المستشفى كي يستفيدوا من أجرة عملية الختان، أو أن يسمحوا لبعض ممرضي غرف العمليات بإجراء ختان «الوليد» بالملقط الجرسي ويعطوهم بعض الأجر إكرامية منهم لذلك الممرض.

من خبرتي الطويلة رأيت أن أفضل الأعمار عملياً لختان «الطفل الوليد» هو بعد الشهر الثالث من ولادته وحتى نهاية السنة الأولى؛ حيث يبقى الطفل في «حفّاضته» في ذلك العمر ولأنه من الأسهل وغير النازف فصل القلفة عن الحشفة وتوسيع فوهة القلفة الأمامية خوفاً من انسحابها إلى الخلف حيث يمكن أن يحصل تضيق القلفة الخلفي وتضغط على الحشفة في قاعدتها مما يحتاج إجراء جراحي سريع، ولأننا نجري الختان بالتخدير الموضعي فإن تلك المرحلة من بدء العملية تكون غير مؤلمة وغير نازفة إذ إن توسيع القلفة دون التخدير مؤلم جداً ويصرخ الطفل دون أن يسمعه أحد إذا أجريت تلك المرحلة دون تخدير موضعي. كذلك يكون الطفل خلال تلك الفترة قد تخطى فترة اليرقان الغريزي وارتفاع الحرارة العابر وتأكدنا من عدم وجود مرض دموي أو جلدي يؤخر أو يمنع العملية في مقتبل الحياة.

لا علاقة بين الفصل البارد أو الحار في سرعة شفاء جرح الختان، ومن التراث أن القرويين في بلادنا وحول عمان اعتادوا أن يختنوا أطفالهم في الربيع إذا لم يختنوا في الأسبوع الأول من أعمارهم وذلك لتكاثر «الغنم» من الأعمار الصغيرة في ذلك الفصل حيث اعتادوا ذبح الخروف الحي ودعوة الأهل المقربين فدية للطفل كما يظنون.

درجت على تأجيل ختان الطفل في أيام البرد أو أيام الحر الشديدين خشية خروج الطفل من بيته إذا تعرض لاختلاف شديد في درجات حرارة المحيط إذ يكون عامل تنظيم الحرارة «ثيرموستاة» لم يكتمل نموه بعده كذلك اعتدت تأجيل عملية الختان عند انتشار أحد الأوبئة «كالانفلونزا» خشية سراية المرض إلى الطفل في الطريق أو في العيادة.

قد ترى بعض الجدات أن حفيدها لم يبول في اليوم الثاني من ولادته فتسرع به إلى الطبيب ظناً منها أن فتحة البول مسدودة وتطلب تطهيره بسرعة، عندها نفحص الطفل فنرى أن فتحة البول غير مسدودة إنما يتأخر «التبول» ليومين أو أكثر لعدم وجود سوائل كافية خاصة إذا لم يكن رضع رضاعة كافية ونوصي بإعطائه كمية من الشاي لمدة يومين، ولا نجري الختان إلا إذا تأكدنا أن الطفل بوّل؛ أما إذا لم يبول وصار يبكي دون سبب فعندها نرسله إلى جراحة الأطفال لاستكمال التأكد من أن مجرى البول سالك.

الختان المنذور

كان في بلادنا منذ أوائل القرن الماضي وحتى الربع الأخير منه – وربما منذ قرون خلت – أفكار وعادات غريبة عند بعض السيدات يقبلها المجتمع آنذاك وهو ما سميته أنا «الطفل المنذور» وذلك أن السيدة التي لم تنجب أو الحامل التي أنجبت بناتٍ فقط أو التي أنجبت بناتٍ وولداً واحداً فقط، أن تنذر أنه لو رزقها الله ولداً ذكراً «فستطهّره» في أحد الأمكنة التي تعتقد أنها أماكن مباركة لأن فيها قبر صحابي جليل أو ولي من أولياء الله الصالحين.

هذه العادة مفقودة في الجزيرة العربية لأنهم لا يؤمنون ببركة القبور والأضرحة، وقد تكون على أشدها في مصر والسودان؛ أما في «بلاد الشام» فقد زالت تدريجياً. فمثلاً في سوريا في مدينة حمص اعتادوا أن «يطهروا» «الولد المنذور» في مقام «سيدي خالد» حيث ضريح الصحابي البطل «خالد بن الوليد» فتذهب الأسرة بطفلها وأحياناً يأخذون معهم بعض فقراء الجيران من غير المختونين في موكب أقرب إلى «الزفة»، وهناك يجدون «المطهرين» الذين يقومون بالعملية، أو يحضرون المطّهر معهم، وذلك إيفاءً للنذر ورجاءً أن يكبر الولد ويصبح مثل خالد بن الوليد.

وكان الفلسطينيون قبل «النكبة» عام ١٩٤٨ ينذرون ختان أولادهم في المواسم المشهورة في ذلك الوقت مثل موسم النبي صالح والنبي موسى والنبي داود فتحصل احتفالات جماعية في مخيمات إقامتهم المؤقتة يحضرها العدد الكبير من الأهل وجيران الخيمة.

ومن غريب «النذر» أنني رأيت خال الطفل «المختون المنذور» يأخذ القطعة من جلد القلفة التي فصلناها فيأخذها ويبلعها إيفاءً لنذره ومبالغة في محبة ذلك الطفل، وقد فوجئت بالذي حصل وأفهمته أن هذا حرام؛ وصرت بعدها لا أعطي القطعة المفصولة إلا بعد أن أفهم الأهل بأنه حرام أكل لحم البشر.

أما أهل الشام هنا وهناك فتأخذ بعضهن القطعة المفصولة لتضعها في نبتة ورد أو فل آملة أن يصبح الولد كالوردة أو الفلة، ومنهن من يرمينها في عيادة طبيب أو مكتب محام أو تاجر ناجح عسى أن يكبر فيكون كأحدهم.

حصل نوع غريب ومضحك من النذر، فبعد أن أسسنا مستشفى الشميساني في عمان سنة ١٩٨٠ نذرت الكثيرات من معارفنا أن لو حملت إحداهن «فستلد» في مستشفانا، وهذا جيد، أما تتمة النذر أن أُجري عملية الختان للطفل الذي ستحمله ثم تنجبه، وبالفعل أوفيتُ «نذر» من قالت إنها نذرت لابنها، وطبعاً كنت أقوم بذلك دون مقابل إذ يكفيني أن تكون الولادة في مستشفانا حيث لم يكن مضى بضع سنوات على بدء تشغيله.

حدثت مرة قصة مضحكة أخرى، إذ جاءني أحد الشباب من الذين أنا طبيب أسرته وطلب أن أحجز له وقتاً طويلاً لختان ثلاثة أخوة كبار وبأعمار مختلفة إذ بين

الواحد والآخر سنتان أو أكثر. استغربت ذلك فأنا أعرف أنه لا يوجد عنده أولاد غير «مطهرين» فعندها حكى لي قصته قال: اشتريت ورقة يانصيب، وفي اليوم المحدد لإعلان نتائج السحب جلست أنا وزوجتي أمام التلفزيون فظهرت الورقة الرابحة للجائزة الأولى بنفس رقم الورقة التي أحملها في يدي، ففرحت كثيراً، قالت زوجتي لا تفرح قد تكون واهماً، فاسأل «أولاً» عن رقم الورقة الرابحة، ولم يكن في بيتي هاتف، وكان بيتي قريبا من مخفر الشرطة، فذهبت إلى المخفر ووجدت الوكيل المسئول موجوداً، وطلبت منه وأنا متوتر أن يسأل لي عن الرقم الرابح وذكرتُ له القصة؛ فضحك وقال لا أتصل إلا إذا نذرت لي أنك لو ربحت الجائزة الأولى أن «تطهِّر» لي أولادي الثلاثة على حسابك عند الدكتور موفق، قال فنذرت ذلك أمام فريق المخفر وهم يضحكون من مثل هذه الحالة التي راجعت مخفرهم قبل منتصف الليل؛ وبالفعل اتصل بالتلفزيون وقرؤوا له الأرقام الرابحة فكان رقمه الرابح للجائزة الأولى وهي عدد من آلاف الدنانير، وهكذا أقر له بوفاء نذره، وفي اليوم التالي اتصل بي واتفقنا على الموعد وأجريتً الختان للأولاد الثلاثة على حساب ذلك الرابح السعيد.

كبُر ذلك الرجل الظريف وكبرتُ أنا وكبر قائد المخفر وتقاعد وصاروا كلما رأوني يذكروني بتلك القصة اللطيفة.

وفي الأردن كانوا يذهبون إلى مقام الصحابي الجليل «أبو عبيدة عامر بن الجراح» في شمال غور الأردن لختان أولادهم «المنذورين»؛ وقد تجاوز الأمر من ختان الطفل إلى دفن الجد حيث يوصي بأن يدفن في مقبرة «أبو عبيده» فيذهبون بالجنازة من عمان برتل من السيارات لدفنه هناك ويقومون بزيارة قبره صباح كل عيد.

ودرج بعض بدو عمان أن ينذروا ختان طفلهم في مقام «النبي شعيب» الذي يقع في وادي شعيب بين مدينة السلط والشونة الجنوبية حيث يأخذون الطفل «وذبيحته» ويقيمون وليمة للحاضرين ويعتبرونها فداءً لابنهم، وبذلك يخلطون بين العقيقة والعذار.

وكان البعض في الأردن ينذرون ختان أبنائهم في رحاب المسجد الأقصى المبارك، وقد حدثني أحد وزرائنا بأن أمه نذرت ختانه في القدس عند ما ولدته في ثلاثينات القرن الماضي ولم تستطع إيفاء نذرها في حينه بسبب الحروب والأحداث التي عمت البلاد إلا بعدما صار عمره ١٨ سنة حيث ذهبوا به بحفل عائلي أجروا ختانه هناك.

عمليات الختان بالطرق المختلفة

الختان أقدم عملية تجرى في التاريخ وأكثر عملية صغرى تُجرى يومياً في وقتنا الحاضر، إذا استثنيا عمليات الإسعاف أو عمليات الطوارئ، وكانت منذ آلاف السنين تُجرى بيد اختصاصيين في تلك المهنة حتى نهاية القرن الماضي إذ بدأت تنتقل إلى الأطباء والجراحين في العيادات أو المستشفيات، وقد صَنَّفْتُ طرق إجراء العملية إلى:

١- الطريقة التقليدية الموروثة في المدن والقرى والبادية.
٢- الطريقة الجراحية التقليدية.
٣- الطريقة الحديثة بالملقط الجرسي.
٤- طريقتي الخاصة بملقط كوشر والكي الكهربائي الحراري.

١- الطريقة التقليدية:

تعتمد هذه الطريقة على الخبرة الشخصية إذ توارثها الأبناء عن الآباء وأَخيراً «المزين عن معلمه». ولم نعد نرى حقيبة المطهر ولا حاملها إلا أننا نسمع عنها في حديث المسنين من القرويين.

تتم هذه العملية بوضع الطفل في حضن أحد الأقرباء الذين لا يضطربون برؤية الدم ويبدأ المزين باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وينظف الأعضاء التناسلية الظاهرة بمحاليل مختلفة كان منها اليود ثم صار الديتول والكحول، ثم يبدأ بفصل القلفة عن الحشفة بتسلخيها «بمسبار» يسميه «الميل» لأنه يشبه ميل «الكحلة» كان من الخشب ثم صار من المعدن ثم يسحب رأس القلفة إلى الأمام ويلقط منها بقدر خبرته حيث يثنيها بزاوية قائمة خشية وجود رأس الحشفة فيها ثم يقطعها بسرعة «بالموسى» وبخبرته الطويلة يسحب من الجلد الخارجي أقل مما يسحب من الطبقة تحت الجلد ثم يقلب القسم الداخلي والذي تكون فوهته ضيقة نوعاً ما ويقلبه إلى الخلف إلى ما بعد الثلم الحشفي القلفي ويتغلب على النزف الحاصل بأن يربط العضو جميعه «رباطاً شاداً» وبذلك ينقطع النزف وينقطع البول؛ ثم يعود في اليوم الثاني فيفك الرباط الشاد فيخرج البول الذي تجمَّع في المثانة «فيرتاح» الطفل ويكفُّ عن البكاء الحاصل بسبب عدم التبول؛ ثم يقوم المزين بوضع رباط عادي ويضع بعض «الذرور» وهي نوع من البودرة استعاضوا عنها بمسحوق السولفا.

لاشك في أن هذه الطريقة التي ثبتتْ مع الزمن لم تعد تصلح الآن لأنها تعتمد على الخبرة الطويلة وعلى الربط الضاغط القاطع للدم والبول معاً مما كان يسبب أحياناً تضيق «الإحليل الرَّضي».

٢- الطريقة الجراحية التقليدية:

تحتاج هذه العملية إلى إدخال الطفل المستشفى وأن تجرى في غرفة العمليات أو في غرفة الطوارئ ولابد من اتباع وسائل التعقيم المعروفة والخياطة «بالكتكوت»؛ وتجرى بضغط طولي بالملقط على الوجه العلوي للقلفة بجانب وريد ظهر القضيب بحيث ترق النُّسُج وتنقطع التروية في مكان الضغط ثم يجري شق طولي في المكان المضغوط حتى يصل إلى الثلم الحشفي القلفي ثم يقطع الجلد بشكل دائري على أن يكون قص الطبقة الجلدية السطحية أعمق من الطبقة الباطنة لجلد القلفة بمقدار ٢ ملم ثم تخاط الطبقتان معاً بخيوط «الكتكوت» ويفضل إجراء أربع غرزات اثنتين منهما بجانب اللجام أي واحدة في كل جانب واثنتين في كل من الزاويتين العلويتين الوحشيتين.

إن هذه الطريقة نازفة نزفاً خفيفاً ويفضل إجراؤها للبالغين أو للأطفال الكبار وتكون ناجحة جداً دون أي تشوه جمالي بعد شفاء الجرح وتُجرى عادة بالتخدير العام.

٣- الطريقة الحديثة بالملقط الجرسي

أنا سميت الجهاز الخاص بهذه الطريقة «الملقط الجرسي»، وقد استُعملت هذه الطريقة في بلدنا بعد خمسينات القرن الماضي في بعض المستشفيات وفي قليل من عيادات الطب العام.

تعتمد هذه الطريقة على وجود جهاز خاص معدني من الفولاذ الذي لا يصدأ وقابل للتعقيم المتكرر وهو عبارة عن ثلاثة قطع: واحدة منها شكلها جرسي تختلف سعتها من جهاز لآخر ولها استطالة تنتهي ببروز في الجانبين تعلق على إحدى القطع بعد أن تدخل في حلقة القطعة الأخرى. فيصبح الجهاز أشبه «بملزمة الحداد». يدخل الجرس بين القلفة والحشفة ثم يعلق على القطعة الأخرى ويشد بواسطة لولب على القاعدة ويبقى الشد مدة خمسة دقائق حيث «تُهرس العروق والأعصاب وتُغلق فلا تنزف ثم يُجري قص دائري للقلفة المستندة على الوجه الخارجي للجرس بمشرط معقم وبذلك تنفصل القلفة وتبقى معلقة على الوجه الخارجي «للجرس» وعندها نزيل الشد ونسحب الحشفة من داخل الجرس فتخرج دون نزف وبشكل دائري جميل وتكون العملية قد انتهت؛ ومن ثم نجري ضماداً واقياً للجرح الذي حصل بين الجلد وقاعدة الحشفة يبقى مدة يومين أو أكثر.

هذه الطريقة جيدة وعملية ومأمونة ولكن من المآخذ عليها ما يلي:

١- إن إدخال الجرس من فوهة ضيقة للقلفة ليوضع بين الحشفة وداخل القلفة يواجه بعض الصعوبات وربما احتاج الأمر إلى توسيع الفتحة الأمامية وهو إجراء مؤلم قد يسبب سحجات على الحشفة.

٢- قد تكون الحشفة أكبر من حجم الجرس وعند ضغطها يمكن أن تصاب بكدمة الحشفة.

٣- إذا «بال» الطفل داخل الجرس فعلى الطبيب أن ينزعه كي يخرج البول ثم يعاد إلى مكانه.

٤- إذا سحب الجلد أكثر من اللازم أو أقل قد يسبب عدم توازن في طول الجلد المقصوص زيادة أو نقصاً فيتسبب بإبقاء مسافة طويلة بين قاعدة الحشفة إلى شفة الجرح الحاصل تحتاج لمدة طويلة جداً للتندب والشفاء، هذا إذا لم يخطئ الذي يجري العملية ويسحب كل الجلد إذا كان القضيب صغيراً، وقد يبقى جلد القلفة بعد قطعه طويلاً جداً مما يسبب تندباً معيباً يسبب صعوبة في التبول، ولما كنت استعملت هذه الطريقة لآلاف من الأطفال الصغار والكبار فقد وضعت حلولاً عملية لذلك منها:

أ- تخدير موضعي تحت جلد القلفة لتوسيع فوهتها الخارجية دون ألم أو سحجات رضية.

ب- استعملتُ أحجاماً كثيرة مختلفة السعة من الأجراس تصلح للوليد الجديد وللأطفال الكبار والكهول.

ج- ثقب الجرس في العمق في جهتيه ثقباً واسعاً فإذا بال الطفل فإن البول يخرج بسهولة من الجرس دون أن يؤثر على المضي في إجراء العملية.

د- لاحظت أن لابد من الخياطة في حالة الأطفال والبالغين وإلا فإنه في اليوم التالي ينسحب الجلد إلى الخلف تاركاً مسافة قصيرة مُعَراة تحتاج لوقت أطول كي تتندب وتشفى.

هـ- قطعتُ القلفة حول الجرس بالكي الكهربائي الحروري وبذلك لم يحصل نزف ولم يحصل التهاب ثانوي.

هذه الطريقة وعلى سهولة تطبيقها إلا إنها تحتاج كغيرها إلى خبرة جيدة ويجب على «المطهر» أن يعيد القياس أكثر من مرة وأن يختار «الأقطار» المناسبة، وإلا فإن سحب الجلدة أكثر من اللازم والذي لا ينتبه إليه المطهر يسبب تعرية القضيب.

ومحاولة مني في حل تلك المشكلة رأيت أنه لو أبقينا «الجرس» مفتوحاً في قاعدته وفي ذروته فإننا نتحكم بالحجم الصحيح ولا تصاب الحشفة بالكدمات ولا يحصل تعري القضيب، وقد رسمت فكرتي هذه لأحد أساتذة الهندسة الصناعية إلا أنه لم يصل إلى عمل جهاز بسيط كالذي بين أيدينا بل كان الجهاز كبيراً وضخماً ومن الألمنيوم ولا يضغط بشدة وذلك بسبب عدم وجود الأدوات اللازمة للصناعات الدقيقة في «ورشاته» مما جعلني أستغني عند الفكرة لصعوبة إخراجها عملياً، ولو تمت لكان أحسن جهاز آمن لإجراء عملية الطهور.

٤- طريقتي الخاصة بملقط كوشر والكي الكهربائي الحروري:

الأدوات اللازمة لهذه الطريقة هي:

١- جهاز تعقيم بالهواء الحار.
٢- جهازك كوي كهربائي.
٣- ملقط كوشر ذو الشوكة.
٤- ملقطان عاديان دون شوكة.

٥- علبة معدنية تتسع لوضع الملاقط.
٦- سيرنج خاص وإبر خاصة للتخدير الموضعي يوضع فيه «الكارتيج» الذي يحوي المادة المخدرة.
٧- عدد من قطع الشاش ٣×٣ انش توضع في علبة معقمة.
٨- بعض الديتول والكحول.

تعتمد هذه الطريقة على الخبرة والهدوء وعدم التسرع في كل مرحلة والتأكد من صحتها قبل الانتقال إلى غيرها وتتم بالشكل التالي:

١- يمسح الجلد بمحلول الديتول وينظف بشدة.
٢- يمسح الجلد بالكحول في مكان إجراء الحقن تحت الجلد.
٣- تحقن كمية صغيرة من المخدر في الجانبين تحت الجلد وبالضبط فوق «أكليل الحشفة» الذي يبدو تحت جلد القلفة. والانتظار حوالي عشرة دقائق ليتم ارتشاح المخدر، ولا يوجد خوف من الحقن لأن الناحية المحقونة ليس في شرايين أو أوردة.
٤- يمسح الجلد مرة أخرى بالكحول وتشد القلفة قليلاً إلى الأعلى ويسلخ الجلد عن الحشفة بأحد الملقطين ثم توسع فوهة القلفة بالملقط الآخر بأن يدخل في رأس الفتحة ويفتح تدريجياً إلى أن تصبح واسعة، يجب الحذر من إدخال الملقط في فوهة مجرى البول التي تكون ظاهرة بوضوح.
٥- تمسك كل جهة من جهتي فوهة القلفة وترفع إلى الأعلى وبالمكان المناسب يمسك المكان من القلفة الذي سيكون عنده حد القطع بعد إبعاد الحشفة إلى الداخل، يضغط الملقط لدرجة يهرس العروق والأعصاب ثم نزيله بعد قليل للتأكد من أننا وضعنا الملقط في المكان المناسب دون أن يُمس رأس الحشفة.
٦- نعيد لقطة الجلد في أثر المكان الأول ونضغط ونتأكد بأن الحشفة غير ممسوكة بالملقط وذلك بالحس بالإصبعين تحت الملقطين فنشعر أن الحشفة لم يصبها الملقط.
٧- نُجري قطع الجلد فوق ملقط كوشر بالجهاز الكهربائي الحروري وبهدوء حتى ينفصل الجلد وتبقى القطعة المفصولة ممسوكة بالملقطين.
٨- بمجرد إزالة مقط كوشر تخرج الحشفة سليمة.
٩- نضع ضماداً بمرهم ضد الالتهاب وفوقه قطعة «فازلين» على شاشة خاصة وفوقه قطعة شاش بعرض ٣ سم نلصقها على قاعدة القضيب بشريط من «البلاستر» ونرسل الطفل إلى بيته.

١٠- أطلب من الأهل أن يبقوا الضماد لمدة يومين يراجعوني بعد ذلك لأزيل الضماد وأطمئن على العملية وأنصح الأم بأن تعيد الضماد يومياً لمدة أسبوع يراجعوني بعد ذلك إن شاؤوا.

عدا عن فترة ارتشاح المخدر و هو عشر دقائق فإن العملية تتم بمدة عشر دقائق من البدء حتى تسليم الطفل إلى أمه. ولأن الكي الحروري يقضي على الجراثيم ويرقئ النزف ولذلك لا يحدث نزف ولا التهاب ثانوي بهذه الطريقة و هي تتم بدون ألم وبدون نزف.

اختلاطات عملية الختان والمشاكل الناتجة عنها، ومعالجتها

إن الكثير من هذه الاختلاطات تحصل عند الأطباء المبتدئين أو عند الكثيرين من المطهرين؛ ومع ذلك قد تحصل مع خيرة الجراحين، وهي:

١- النزف.
٢- جرح جزء من الحشفة أو قطع جزء منها.
٣- كدمة الحشفة.
٤- تعري القضيب.
٥- التندب المعيب.
٦- الالتهاب الثانوي.

١- النزف:

أ- نزف وريد ظهر القضيب: حيث يبدو النزف واضحاً من أعلى الثلم الحشفي القلفي. وهو غير نابض وغير قوي؛ ويمكن أن يتخثر من تلقاء نفسه عند الأطفال المولودين قبل عشرة أيام وبمجرد ضغط بسيط بقطعة شاش بين الإصبعين؛ وإذا لم يتوقف فيمكن إجراء الكي أو الربط الجراحي.
قلّتْ هذه الحالة بسبب استعمال «المشرط الحراري» أو الجهاز الجرسي حيث يضغط قاعدة الحشفة مما يسبب إغلاق الوريدين. رأيت بعض المسنين «من مُطَهِّري» البدو يتركون النزف يستمر على وعاء والطفل الكبير واقف، فينقطع النزف من تلقاء نفسه بعد خمسة دقائق، والغريب أن الأهل المحيطين بالطفل أثناء الختان لا يشْكون من ذلك في حين أن أهل الأطفال عندنا يضطربون إذا زاد النزف عن بضعة غرامات على قطعة الشاش.

ب- نزف شريان القضيب – يبدو النزف أسفل الحشفة بعد إزالة الملقط وأحياناً يكون النزف «نافوريا» بسيطاً إنما لا يقف تلقائياً وقد يحتاج إلى الكي أو الربط الجراحي. يجب الحذر أثناء الكي إذ يكون الشريان عميقاً نوعاً ما ويُخشى الوصول إلى الإحليل مما يسبب تضيقه.

جـ- النزف من لجام القضيب – يلاحظ في الملقط الجرسي «جومكو» حيث يحصل تسليخ اللجام أثناء وضع الغطاء وضغطه، يكون النزف بطيئاً على شكل هلالي ويستمر طويلاً، وكثيراً ما يغيب سبب هذا النزف عن عين الطبيب الذي يجد أن النزف يرتشح من مكان قاعدة اللجام.
يفضل معالجة هذا النزف بالضغط المستمر بواسطة قطعة شاش لمدة خمسة دقائق، وإلا فيعالج بالكي النقطي السطحي الخفيف.

د- نزف من الحشفة – سواء كان النزف من العمق أم من السطح ويكون سببه وخزة إبرة المخدر الموضعي أو جرح الحشفة أو أثناء فصل القلفة عن

الحشفة بملقط أو مسبار دقيقين وتوجيه الأداة إلى الأسفل. تكون الوقاية باستعمال ملقط أو مسبار ذي رأس واسع وأن يكون اتجاهه إلى الأعلى لا إلى الأسفل، وكذلك الانتباه أن يكون موضع الحقن تحت جلد القلفة.

الأفضل ترك النزف وضغط الحشفة ضغطاً خفيفاً لمدة خمسة دقائق فيرقأ النزف بعدها دون حاجة إلى الكي.

٢- **قطع جزء من الحشفة**- لم تشاهد هذه الحالة بسبب استعمال الملقط الجرسي الذي يغطي رأس الحشفة. ولكنها تشاهد في حالة استعمال ملقط «كوشر» أو غيره إذ يلتقط جزءاً من رأس الحشفة؛ وقد يقطع جزءاً من فوهة مجرى البول الظاهرة.

٣- **كدمة الحشفة** – شاهدتها مرة واحدة إذ كانت الحشفة مزرقّة بشدة وسبب ذلك أن المطهر ضغط الحشفة بشدة بين إصبعيه وهو يجري عملية الختان بالموسى. وقد تحصل بسبب ضغط الحشفة الشديد بالملقط الجرسي الذي يكون غير متناسب مع حجم الحشفة.

٤- **تعرّي القضيب** – قد يحصل أثناء وضع الملقط الجرسي أو أثناء وضع الملقط العادي لقطع القسم الأمامي من القلفة أن يسحب الطبيب أو المطّهر القسم الأكبر من جلد الحشفة المغطي للقضيب ويقصه وبذلك يصل مستوى القص إلى قرب الصفن. وقد دعوتُ هذه الحالة «تعري القضيب» ويدعوها العرب «أطحرتْ ختانته» حيث كانت بعض القبائل تعتبر التعري من إتمام عملية الختان. تتعرض هذه الحالة حتماً إلى الالتهاب الثانوي والتندب البطيء الدائري كالحرق- الذي يسبب ضغطاً عاصراً على العضو والاحليل وقد تخيف الأهل كثيراً، لم أشاهد هذه الحالة كثيراً إلا أربع مرات، وقد تحتاج إلى معالجة ترميمية إذا كان الضغط شديداً أو أثر على مجرى البول.

رأيت أحدهم بعدما بلغ سن الرشد ولم تحصل عنده أية صعوبة في الانتشار ولا أعرف حتى الآن كيف تطورت الحالة بعد الزواج.

٥- **التندب المعيب المضيّق لجرح الختان** – أشرتُ إلى ذلك سابقاً وإن السبب في ذلك أحد أمرين:

أ- صغر حجم القضيب وعدم التناسب بينه وبين القلفة مما يسبب انسحاب القضيب إلى الداخل فيحصل التحام شفتي الجرح ولا يبقى إلا ثقب يمر منه البول بصعوبة، فينتفخ ما تبقى من القلفة كلما اجتمع البول إلى أن يخرج جميع البول تدريجياً بعد فترة طويلة. وقد قلنا إنه من الأفضل أن لا تُجرى عملية ختان عادية في مثل هذه الحالة إنما يؤجل الختان أو تُجرى كأنها عملية تجميل دقيقة.

تعالج بإجراء التوسيع التدريجي بالملقط وبتخدير موضعي والأفضل قطع مسافة دائرية صغيرة من القسم المتندب من القلفة وتجرى الخياطة وترفع

الحلقة إلى الأعلى مع بقاء الضغط عليها بيد الأم أو الممرضة لبعض الوقت فيحصل نوع من الوذمة البسيطة تمنع انزلاق القلفة إلى الأمام.

ب- قد يكون السبب عدم قطع قسم كافٍ من القلفة فيتندب الجرح تاركاً ثقباً صغيراً يمر منه البول.

تعالج هذه الحالة بإجراء عملية ختان ثانية وخياطة الجرح.

لاحظت هذه الحالة كثيراً عند الذين «يُطهّرون» في أوروبا وأمريكا ويأتون لإعادة طهورهم ثانية.

جـ- قد يحصل ارتداد القضيب إلى الخلف ويكون القطع كافياً ويشفى الجرح دون تندب معيب إنما يحصل صغر قُطر القلفة المقطوع رأسها فيبدو رأس الحشفة واضحاً من خلال الحلقة الصغيرة الحادثة.

هذه الحالة لا تحتاج إلى معالجة إنما تندفع الحشفة تلقائياً ويحصل توسع عفوي بالقلفة بعد أشهر.

٦- الالتهاب الثانوي – يتسبب من عدم تعقيم الجلد بصورة كافية بمحلول الديتول ثم بالكحول، أو عدم تعقيم كاف للأدوات المستعملة أو عدم تعقيم أيدي الذي سيقوم بعملية الختان أو مساعده ولم يلبس «كفوفا معقمة»، وأحياناً بسبب وخزة الإبرة عند التخدير الموضعي بسبب عدم تعقيم الجلد بصورة كافية فتنقل الوخزةُ الالتهاب إلى العمق. يظهر الالتهاب في اليوم الثالث للعملية بشكل احمرار وانتباج في الجرح نفسه أو بشكل ارتشاح التهابي تحت الجلد إذا كان بسبب وخزة الإبرة. لاحظت أن الالتهاب الثانوي يقل إلى درجة العدم في حال استعمال المشرط الحراري ذلك أنه يقضي على جميع الجراثيم بالحرارة العالية التي يشعها المشرط. قد يأتي التلوث من الخارج بسبب اعتقاد بعض «المطهرين» وموافقة أولياء الأمور بأنه من الأفضل ترك الجرح دون ضمادات كي «يتهوى» الجرح فيكون أسرع في الشفاء. يلاحظ أن الجرح يبدأ بالتقيح وتظهر قشور كثيرة تغطي الجرح تصل أحياناً إلى الحشفة نفسها تسبب آلاماً أثناء التبول أو أثناء لمس القضيب للضماد وقد يترافق ذلك بنزف خفيف أثناء الضماد.

نعالج ذلك بالضمادات اللازمة مع مضادات النشاط الحيوي لمدة أسبوع.

يحصل أحياناً بعد الختان بأكثر من أسبوعين التهاب فوهة مجرى البول الظاهرة بسبب احتكاك الفوهة المباشر مع فُوَط حفاضات الطفل، فيحصل نوع من التحسس أو التهاب بسيط يسبب بكاء الطفل أثناء تبوله دون أن ينتبه الأهل إلى ذلك لأنه يبول في الحفاضات.

نعالج الحالة بمرهم مضاد للنشاط الحيوي وتحصل الوقاية بأن ننصح الأهل بوضع قطعة من الشاش تفصل بين الحشفة والحفاضات تُبدل عند كل تغيير للطفل ولمدة شهرين. إذ إن إزالة القلفة من رأس الحشفة التي كانت تقيها يسبب التّماس المباشر بأنواع الحفاضات التي قد تكون مسببة للتحسس.

احتفالات الختان

يبدو أن ضخامة الاحتفال بالختان تراثياً لها ما يبررها، فالولد المختون يكون في الغالب كبيراً، ومثل ذلك يكون معرضاً إلى الألم الشديد وإلى النزف وإلى التهاب الجرح وما يتلوه من اختلاطات إنتانية أو الكزاز؛ ولذلك كان من عادتهم أن يُهيئوا الولد نفسياً لتحمل الألم فيشجعونه على ذلك بمختلف الأساليب، فأطفال المدن يشجعونهم بالحلوى والزينة والنقود وجولة في الحي تشبه «عراضة العرس». أما أطفال القرى والبادية فيشجعونهم بطيور الحمام «والجدي» الصغير يخصونه له، ولذلك عندما كان يهم «المطهَّر» بالقطع يقولون للطفل، انظر إلى الحمامة فوقك كيف تطير مسرورة بك وتجتمع النساء حول الطفل يغنين «ويزلغطن» ويضربن الدف بشدة كي لا تسمع أمه صياحه إذا بكى ولا يعرف الطفل متى سيبدأ «المطهَّر» الذي يكون قد قام بعمله بسرعة؛ ومع الزمن صار اصطلاح «الحمامة» في البلاد الشامية على الأقل مقصوداً به العضو المذكر عند الطفل وعليه أن يخفيها عن الناس وإلا «طارت حمامته» أو «تأكلها القطة»؛ واستمر الاصطلاح ورافق الأطفال إلى رجولتهم وصارت كلمة «الحمامة» تعني «القضيب» عند الكبار. فبعد أسبوع من العملية يكون الولد قد نجا من الموت بسبب النزف أو الكزاز أو قطع جزء من العضو خطأ؛ ولذلك تقام الولائم فرحاً ويعم المنزل أو الحي الاحتفالات الجماعية. وقد انتهت هذه العادات في منتصف القرن الماضي إلا في حالات خاصة سأذكر أمثالاً منها فيما بعد.

وصارت عملية الختان تُجرى في العيادات أو المستشفيات سواء بُعيد الولادة أو السنوات الأولى المتوسطة من العمر بأقل المحاذير والمخاطر التي كانت تحدث في السابق.

أما في بلادنا فكان الأهل قبل سبعينات القرن الماضي يجرون بعض الاحتفال العائلي بمناسبة الختان؛ أما بعد ذلك فلم أعد أشاهد احتفالاً فخماً يقام بمناسبة الختان إلا ما ندر وذلك بسبب الحروب التي استمرت زمناً طويلاً أنْسَتْنا الشعور بالسرور في العديد من المناسبات.

كنت قبل ذلك وبُعيْد ذلك حضرتُ عدداً قليلاً من الاحتفالات الجميلة بمناسبة الختان لم تخرج عن محيط العشيرة، وتختلف كل حفلة عن غيرها بحسب المكانة الاجتماعية لوالد الطفل، فبعد ختان أولاد أحد قادة الجيش الكبار دُعيت إلى الحفلات المسائية التي أقيمت في المنزل وحوله فكانت الساحة واسعة والكراسي كثيرة وموسيقى القرب تصدح بأنغامها العذبة والناس من أفراد العشيرة ومن الجوار ينتشرون ويغنون «ويصحجون» فرحين، وفناجين القهوة السادة والتمر والشاي تدور عليهم، كل ذلك بعد وليمة حضرها المئات من الناس. حضرتُ إحدى تلك «السهرات» وكأني في حفل من احتفالات القرون الماضية التي كنا نقرأ عنها.

كذلك أجريت الختان لولدين من عشيرة كبيرة وكانت الوليمة ضخمة تضم أكثر وجهاء العشيرة والكثير من أفرادها ثم بعد العصر قام ثلاثة من فرسان العشيرة بسباق دائري جميل لم نشهده منذ زمن بعيد حتى في سباق الخيل.

أجريت عملية ختان لطفل من اللاجئين في مخيم المحطة رجاني أبو الطفل أن «أطهره» في المنزل لوجاهته، فبعد إتمام العملية هلل الأهل وكبروا وحمدوا الله على السلامة، ثم قام الأب وفتح تنكة كبيرة مملوءة بالحلاوة وأصر على أن أكون أنا أول من يأكل منها، وبقيت مدة استمع مطروباً لبنات الأهل وهن داخل البيت وحوله ينشدن أناشيد خاصة للختان كنت سمعتها وأنا صغير عندما طهر جارنا الفلسطيني ابنه.

وأنا على طريق معان وأنا في طريقي في الترولي الخاصة في إحدى جولاتي لمعالجة وملاحظة المرضى من أفراد سكة الحديد، رأيتُ من بُعد رجلاً يقف على خط السكة يحمل دلة القهوة السادة في يساره وفناجين قهوة في يمينه، قال لي السائق إن هذا الرجل يطلب حاجة ضرورية فوقفنا وسلم علينا وصب لنا من قهوته وسألته عن حاجته قال سمعت بأنك أشهر من يجري ختان للأولاد وعلمت بالأمس أنك ستأتي لمدينة معان وأنا عندي ولد صغير بحاجة إلى «طهور». ولا أستطيع الذهاب به إلى عمان أو معان فأنا حارس هذا الجسر ولا أغادر الموقع «فبيت الشعر» هذا الذي تحت الجسر هو بيتي ومعي أسرتي ورجاني أن أجري عملية الختان لولده، وفعلاً نزلنا وأجريت العملية وزغردت الأم والأخوات فرحات بطهور طفلهن الصغير وشربنا الشاي والقهوة وقلت للأب سأجري له ضماداً ثانياً وأنا عائد من معان بعد يومين، وهكذا كان فقد وجدت الطفل بصحة جيدة وكأنه لم تُجرَ له عملية ختان، وقف الأب والأم شاكريْن ويعتذران عن تقديم أي شيء سوى هذه «الصخلة» وهي ابنة «العنزة» يهديانها لي؛ فأخذتها منهما وقبلت الولد والصخلة وقلت لأبيه إبقها عندك هدية مني لولدك.

من هذه الاحتفالات كذلك، كانت وليمة كبيرة لموظف كبير في الدولة طلب مني أن أجري عملية الختان لابنه الذي يحبه كثيراً وأصر على ذلك ولما انتهت العملية زغرد الأهل وبكى الوالد كثيراً ولا أدري لماذا وصار صديقي منذ ذلك الزمن، ثم بعد أسبوع دعاني إلى وليمة ضمت كبار شخصيات عمان، وكنت آنذاك صغيراً بالنسبة للأطباء الموجودين في عمان وأعجب الجميع بما قمت به حيث أجريت القطع بالكي الكهربائي الحروري ولم يحصل أي نزف.

هذه الأمثلة كانت آخر أيام الاحتفالات التي شهدتها أو سمعت عنها، حيث انتقل الطهور بعد ذلك إلى الأطباء في العيادات والمستشفيات.

لابد لي وأنا أكتب عن الاحتفالات من ذكر بعض الاحتفالات التراثية كما قرأت وصفاً لبعضها في «الإنسيكلوبيديا الإسلامية» أو في الكتب التي تتحدث عن التراث. وسأكتفي بذكر ما كان يجري في العواصم الرئيسية في المدن الإسلامية. وأنقل النص الحرفي لعنوان «مراسم الختان» من كتاب «دمشق في مطلع القرن العشرين»

لمؤلفه «أحمد حلمي العلاف» من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية:

في دمشق

إن مراسم الختان تكون بين الرابعة والثانية عشرة من عمر الطفل، هذا إذا لم يكونوا أجروا ختانه في اليوم السابع من ولادته. يقوم الوالدان بدعوة الأقارب والأصحاب إلى يوم معلوم لحضور حفلة الختان ويسمونه «الطهُّور»؛ ويهيئوا الأطعمة ومختلف السكاكر والحلوى، كما أن الأقارب يمدونه بكثير من القمح أو الأرز أو السمن أو السكر، ومنهم من يقدم الخرفان، ومنهم من يقدم نوعاً من المصاغ والجواهر، يرسلون ذلك قبل حلول اليوم المعلوم إلى دار المضيف وذلك على سبيل المعاونة فيحفظ لهم، ويهتبل فرصة أو مناسبة عند أحد هؤلاء القوم ليقوم بواجبه مقابلة المثل بالمثل، وتكون المقابلة بالمثل بكثير من الشئون خاصة في مواسم الحج عند عودة الحجاج أو في الأعراس أو الأفراح الأخرى، فلا ينسى أحدهم ما عليه من واجب حيال من سبقه.

وفي اليوم المعيّن يتقاطر المدعون إلى الدار، فإذا لم تكن الدار على استعداد لقبول المدعوين استعار صاحب الدعوة دار أحد أصدقائه أو أقربائه لتسع لجلوس المدعوين، فتبدأ النساء بالزغاريد والرجال بالأناشيد، ويأتون بالأطفال المراد ختانهم في ألبسة جديدة مزركشة فجعلونهم في وسط الجمهور ويتقدم «المزيَّن» أو الحلاق وهو الخبير بإجراء تلك العملية الجراحية فيمد يده إلى الأطفال مموهاً بأنه يريد أن يأخذ قياس طول ألبسته ليأتي له بلباس فاخر، وبذلك يحصل التعارف بين الطفل والمزين، حتى لا تأخذ الطفل الدهشة عند البدء بها، ويكون قد ائتلفه وتكلم معه وأنه سيوهب له لباساً فاخراً. وبعد انتهاء هذا بين المزين والأطفال على هذا الشكل يتقدم المزين ثانية ويكلف أحد الحاضرين على مسمع من الطفل قائلاً: خذ لي قياس قدمه من الخلف حتى لا أُخطئ بالحذاء المقصب الجميل؛ هذا والولد بدون سرواله بل بألبسته الحريرية المتدلية إلى قدمه؛ فيأتي المخاطَب ويكون من أقاربه ويمد يديه من الخلف إلى بين رجلي الطفل ويسنده إلى صدره قابضاً على يدي الطفل من الأمام، وهنا يسرع الحاضرون بالصياح والتصفيق والصلوات بصخب وضجيج حتى لا ينتبه الطفل إلى يدي المزين حيث يكون هذا قد أخرج «ميلا»أي «مروداً» من الحديد وموسى ماضياً وبسرعة البرق أدخل المرود في حمامة الطفل بين الجلد و«التمرة» وعكفها إلى الخلف وقبض عليها بمثل المقص وقطعها وذر «الذرور» وربطها. فإذا صاح الطفل لا تسمع صوته أمه خشية بكائها وتأثرها، وهكذا بين الصخب والضجيج يقطع له، فيأخذونه إلى سريره ويضعون له «شمّامة» وهي قطعة من القطن مصرورة بقطعة من القماش ومبللة بالعطر تعلق بخيط في رقبة المختون وتتدلى على صدره بحيث تكون في متناول يده فيشمها عند تعرضه للروائح خوفاً من رائحة الزيوت الضارة، ويبقى كذلك يومين؛ ولا يمضي غير قليل حتى يبدأ في السير قابضاً على سرواله من الأمام كي لا يمس مكان القطع حتى يندمل، وإذا كان الطفل طالباً

بإحدى المكاتب القرآنية زينوه بأفخر الملابس ووضعوا على رأسه إكليلاً من الزهور فوق الطربوش ومشوا به على غرار سيرهم عند الأعياد حتى يصلوا به إلى داره، ومن الناس من يركبونه على دابة مجلاة بالديباج وتقام العراضات قبل ختانه ويطوفون به في الأسواق قبل الطهور وبنفس اليوم ومن المألوف أن يجتمع الأقارب الأقربون قبل اليوم المعَّين للختان في دار الضيف ويقيمون حفلات الأغاني والرقص ويبقون كذلك إلى ما بعد شفاء المختون من جرحه. هذه الحفلات تُعد بأهميتها في الدرجة الثانية بعد الأعراس.

في مكة المكرمة

حيث يدعون الختان «طهارة»، كانوا يختنون الطفل بين السنة الثالثة والسابعة من عمره، ويحتفلون بختان الذكور أما البنات فبدون احتفال، كانوا في اليوم السابق للعملية يُلبسون الطفل حلة ثمينة ويسيرون به على ظهر الحصان في الشوارع حول الحرم يحيط به في الجانبين عدد من الرجال ليمنعوه من السقوط وينعشونه بالفوط المبللة بالعطر يتقدمهم رجال يضربون الدفوف ويقرعون الطبول يرافقهم رجال منشدون ذاكرون الله بأناشيد خاصة بالمناسبة، وقريب من الطفل تسير جارية سوداء كبيرة السن من جواري أبيه تحمل فوق رأسها مبخرة ينطلق منها دخان البخور.

أما القسم الثاني من العرض الذي يتبع العرض الرئيسي فيتكون من رفاق الطفل الفقراء وعلى ظهور الخيل مثل رفيقهم، يمر العرضان خلال الشوارع الرئيسية عند العصر ويعودون من حيث انطلقوا قبل غروب الشمس بقليل، أما النساء يبقين في البيت وفي المساء يجتمعن مع صديقاتهن مغنيات ومنشدات.

وفي اليوم التالي ومع شروق الشمس يأتي المزيّن ويجري عمليته حيث يضغط القلفة بملقط خاص والولد مضطجع على ظهره في حين أن أمه تلهيه بالحلوى لتصرف انتباهه هما يجري حوله، ويصفق النساء ويزغردن؛ ثم يوضع ضماد على الجرح. يعقب العملية حفلة فطور صباحية للأهل والمقربين.

أما الحضارمة: من أهل مكة فيختنون أبناءهم في اليوم الأربعين حسب عاداتهم في بلدانهم الأصلية.

من هذا الوصف الموروث في كتب التراث وفي «اسلاميك انسايكلوبيديا» نستنتج أن تلك الاحتفالات كانت عند طبقة خاصة مترفة، ومع هذا لم ينسوا الفقراء من ختانهم مجاناً وفي نفس الاحتفال.

أما بدو الجزيرة - حسب المراجع السابقة – فكانوا يجرون احتفالاً «ختانياً» كل سنتين حيث يجرون العملية لمجموعة كبيرة من أطفال العشيرة توفيراً للمصروف، أشبهها بحفلات الأعراس الجماعية في أيامنا هذه.

في مصر

كانوا يختنون الطفل بين الخامسة والسادسة من عمره ويسيرون به مع أصدقائه الأطفال في عرض موسيقى شعبي في الشوارع ويُلبسونه ثياب البنات كي يظل الثوب بعيداً عن عضوه بعد الختان، ويحجبون وجهه كي لا يصاب بالعين، كما ويلاحظ أن الأقباط يختنون أولادهم مثل المسلمين.

في شمال إفريقيا

كان الجزائريون يختنون الطفل بين اليوم السابع والسنة الثالثة عشرة من عمره، وجرت العادة عندهم أن يدعو الرجل الغني مجموعة من أولاد الجيران أو أولاد الفقراء ليختنهم على حسابه الخاص. وبعض اليهود الجزائريين كانوا يجرون الختان بسكين حجري حيث يقال إن الإسرائيليين عندما دخلوا الأرض المقدسة ختنوا أنفسهم بحجارة حادة كالسكاكين. «إسلاميك انسايكلوبيديا».

في إندونيسيا الحالية

وبالأخص في جزيرة «جاوا» كان للختان أسلوب خاص حيث يخصصون غرفة صغيرة يجرون فيها الختان، وأمام الغرفة يقدمون أنواعاً من الطعام؛ وقبل ذلك اليوم يأتي المقرئ ويقرأ سوراً من القرآن الكريم. ويقال إن بعض القبائل الإندونيسية كانت تجري الختان لأطفالها قبل انتشار الإسلام في جزرهم. «إسلاميك انسايكلوبيديا».

ويذكر «ابن الجوزي»: المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم – المجلد السادس: أنه في سنة ٣٠٢ هـ وفي جمادى الأولى ختن «المقتدر»- وهو خليفة عباسي – خمسة من أولاده ونثر عليهم خمسة آلاف دينار عيناً ومائة ألف درهم ورقاً ويقال إنه بلغت النفقة في هذا الختان ستماية ألف دينار؛ وختن قبل ذلك جماعة من الأيتام وفرقت فيه دارهم وكسوة.

كان السلاطين العثمانيون يقيمون احتفالاً عظيماً عند ختان أولادهم الأمراء حيث يجري احتفالاً خاصاً يدعى إليه كبار رجال الدولة يليق بفخامة وعظمة السلطنة. وقد دعا السلطان مراد الثالث كثيرين من ملوك أوروبا لحضور حفل ختان ولي عهده. «إسلاميك انسايكلوبيديا».

والأتراك يسمون الختان «سُنَّة» والذي يجريه «سُنَّتجي» وهو الحلاق الذي يجري العملية وقد وصفت الكتب الأسلوب الاحتفالي حيث يتقدم إمام الجامع المحتفلين ويذبحون الذبائح التي يُدعى إليها الأهل والفقراء.

شاهدت في برنامج تلفزيوني من إحدى الفضائيات وضمن موضوع «المساجد في بلاد المسلمين» وذلك في ٢٠٠٧/٣/١٢ مشهداً جميلاً ومؤثراً عن مسجد الصحابي الجليل «أبو أيوب الأنصاري» ويقع على حدود مدينة اسطنبول من جهة البحر وما لفت نظري هنا ما ذكره مقدم البرنامج حيث قال إن من عادة أهل اسطنبول

أن يختنوا أولادهم في رحاب هذا المسجد؛ فيجتمع الأهالي وأطفالهم و«المطهرون» ويجرون الختان لأطفالهم باحتفال خاص وبفرح شديد. ولما سأل المذيع إحدى الموجودات قالت: «إني لا أستطيع الوصول إلى قبر رسول الله ﷺ» لألتمس البركة لي ولابني، لكن يشرفني ويسعدني أن أكون عند صاحب رسول الله وحول قبره؛ حيث توفي هنا ودفن في هذا المكان الذي أسسوا عليه هذا المسجد الكبير الذي يعتبر تحفة معمارية إسلامية تشع بركاته في جميع أنحاء تركيا.

حدثني أحد التجار الأتراك الذي يتردد على عمان، أن الحكومة التركية ترعى بين فترة وأخرى إجراء ختان جماعي وذلك أن مجموعة من أولياء أمور غير المختونين من الفقراء يراجعون وزارة الصحة لختان أولادهم – وهو أسلوب معروف عندهم – فيخصص المسئول في دائرة الصحة يوماً معيناً يجتمع فيه الأطفال في المستشفى أو في أحد المستوصفات ويرسلون فريقاً طبياً لإجراء الختان لهم.

شاهدت في أحد البرامج الفضائية عن الانتخابات في تركيا كيف أن المرشحين يستغلون حفلات الختان التي تقام في سرادقات واسعة فيزورون الأهل «مباركين» ويقدمون الهدايا ويستمعون إلى الأناشيد الدينية والقرآن الكريم.

«مسلموا بلغاريا يحتفلون بختان أبنائهم»

كان هذا خبراً من صوفيا نشرته جريدة الدستور الأردنية في ٢٠٠٦/١١/٣ العدد ١٤١١٤. يقول الخبر:

شارك زهاء مائتي أسرة مسلمة في الأونة الأخيرة ببلدة «كوردزالي» في جنوب وسط بلغاريا بختان أبنائهم الذين تتراوح أعمارهم بين عامين وخمسة أعوام، حيث خرج زهاء ألف من سكان المدينة الذين ينحدر معظمهم من أصل تركي إلى الشوارع حيث عزفت الموسيقى وراح الآباء يرقصون حاملين أبناءهم على أكتافهم قبل أن يتوجه موكب الاحتفال إلى المسجد حيث أجريت عملية الختان، وينظم سكان كوردزالي هذا الاحتفال سنوياً بعد أن كان محظوراً في العهد الشيوعي في بلغاريا، يثَبِّت الأب أو أحد الذكور من أفراد العائلة الصبي على «طاولة الجراحة» فيما يتولى المطهر إجراء عملية الختان داخل المسجد، قال المطهر للناس «إن الصبي لا يشعر بأي ألم لكن الآباء يصابون بالتوتر ويشعرون بحرج من أجل أبنائهم وهو شعور رقيق ولذلك يخافون ويبكون».

الختان الجماعي يمكن أن يجذب السياح

كوالالمبور / رويترز/ قال وزير الفنون والسياحة صبر الدين تشيك إن احتفالات الختان الجماعي يمكن أن تصبح حدثا يجذب السياح إلى ماليزيا.

ونسب إليه قوله لصحيفة ستار إن الختان الجماعي حدث ثقافي يمكن أن يدر أموالاً. وتابع قائلا في تصريحاته للصحيفة بعد حضور أحد هذه الاحتفالات في كوالالمبور أمس الأول يمكن فرض رسوم قليلة على السياح لمشاهدة هذه الأحداث الثقافية وبذلك نغطي تكاليف التنظيم، وقال إن السياح سيستمتعون بمشاهدة شيء مختلف. وقالت الصحيفة إن الختان أُجري لثمانية وأربعين صبيا منهم اثنان من الهندوس في الاحتفال الذي أجري أمس الأول.

ختان البنات – الخفض CLITORIAL

تعريف – ختان البنات عملية بدائية يُقطع فيها جزء أو أجزاء من العضو التناسلي للبنت من السنة الأولى من عمرها حتى سن البلوغ.

لمحة دينية – لم يرد في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الشريفة أي ذكر «لخفض البنات» ولذلك ليس خفض البنات من الإسلام، وقد راجعت كتاب «صحيح الفتح الكبير» للعلامة «ناصر الدين الألباني» فلم أجد أي ذكر للخفض فيهما. وحتى «ختان الذكور» لم أجده إلا في حديث صحيح واحد هو «خمس من الفطرة» وأولها الختان – ولم يرد في السيرة النبوية الشريفة أن سألَتْ إحدى النساء الرسول الكريم عن «الخفض» رغم ماكُنّ يسألنه عن كثير من أمورهن الخاصة وكان يجيب على أسئلتهن «النسائية» سواء في المدينة المنورة أو أثناء تأدية مناسك الحج؛ وكانت السيدة «عائشة» تشرح لهن ما كان غير واضح لبعض السائلات في أمورهن الخاصة كحديث «فُرضة المسك».

لمحة تشريحية – يتألف العضو التناسلي للمرأة – ويسمى بالعربية «الفرج» وبالإنجليزية «VULVA»- من غلاف بسيط فوق البظر ومن البظر «Clitoris» ومن الشفرين الصغيرين «Labisa minura» وفتحة البول الظاهرة «External urethral orifice» وفتحة المهبل «Vaginal orifice»، ويضم الجميع الشفران الكبير «Labia Mlajura» وفيهما غدتا «بارثولان» «Partholin glands».

قد يحصل نوع من الاختلاف التشريحي، تماماً كما في الذكور فتكون الغلفة طويلة أو يكون البظر طويلاً جداً أو صغيراً جداً إلى درجة الاختفاء. وقد يكون الشفران الصغيران طويلين جداً؛ وقد يكون الشفران الكبيران ضخمين جداً بسبب تكرار التهاب غدتي راتولان. إن جميع هذه الحالات تُعْتبر حالات مَرَضِيّة وتحتاج إلى تدخل جراحي يجريه إخصائي الأمراض النسائية وليس ختاناً بالمعنى الدارج للكلمة.

لمحة وظيفية – لكل واحد مما ووصفناه وظيفته الخاصة فأي اختلال فيه يعطل وظيفة من وظائف المرأة الجنسية. «فالغلاف» يعادل «القُلفة» عند الرجل، والبظر يعادل القضيب وكلاهما يشكلان عنصر «الانتعاظ»، إضافة إلى وظائف غدتي بارثولان بإفرازاتهما. فأي قطع لأحد الأعضاء تلك يعيق العملية الجنسية.

أشكال الخفض – هناك ثلاثة أشكال من الخفض صُنفت حديثاً ودون دراسة مسبقة وذلك حسب ما تجريه الخاتنة في كل مجتمع. وحديثاً حسب ما يصنفونه في كندا وغيرها استناداً إلى ما سبق.

الحالة الأولى: قطع البظر فقط وأحياناً – كما في كندا – قطع ذروة البظر مع الغلاف فوق البظر.

الحالة الثانية: قطع البظر والشفرين الصغيرين.

الحالة الثالثة: إضافة إلى قطع الحالتين السابقتين فيتم قطع قسم كبير من الشفرين الكبيرين وإلصاقهما ببعضهما بالخياطة بعد القطع، وترك فتحة بسيطة لخروج دم الطمث وخروج البول.

رأيت عدداً من البنات والسيدات المصريات اللواتي أُجري لهن الخفض في مصر، فكان خفضهن من الدرجة الثانية عند الكثيرات ومن الدرجة الأولى عند القليلات؛ ولم أرَ أية حالة من الدرجة الثالثة.

لمحة جغرافية – حدث مرة أني كنت أستمع إلى المدافعات عن حقوق المرأة وهن يتكلمن من إذاعة «مونت كارلو» عن بشاعة تلك العملية التي تجري في السودان وفي البلدان الإفريقية وأنها مهينة لكرامة المرأة وأنثوتها، وكذلك ذكرن أن تلك العملية تُجري في شمال إفريقيا، والمتحدثات كنّ سودانيات ولذلك لم يتكلمن عن الخفض في مصر؛ وكما ذكرتْ بعضهن أنهن «مخفوضات» من طفولتهن؛ وأن تلك العمليات تقوم بها بعض العجائز من النساء ومنهن ما لا ترى جيداً فتقطع كثيراً في العمق، وأن تلك المهنة انتقلت بالوراثة إلى بناتهن، وأن الأهل يجرين احتفالاً بيتياً ويتقبلن التهنئة كما هي حالة الختان عند الأولاد الذكور عندهم.

الغريب كما قرأت وسمعت أن بعض أطباء مصر تخصصوا في ختان البنات ويجرونها يومياً بأجور مرتفعة.

والغريب أكثر أن عمليات ختان البنات انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك حتى وصلت إلى أمريكا الجنوبية، وتُجرى بناءً على رغبة الفتاة المسئولة عن نفسها، وأصبح لها أطباء متخصصون ومشهورون ويجب حجز موعد مسبق قبل مدة طويلة. وقد تأتي الفتاة من الولايات المتحدة إلى كندا ليجريها أحد الأطباء «ذائعي الصيت»، ويذكر التقرير أن المكسيكيات يجرين هذه العملية وبشكل رسمة خاصة على العضو التناسلي (عن بحث في الإنترنيت). والأغرب والأغرب أنهم يسمون التصنيف الثاني في الخفض باصطلاح السنة SUNNA وكأنه من تعاليم الإسلام؟؟

لمحة تاريخية – تشير النصوص التاريخية والشعر العربي أحياناً أن «الخفض» كان معروفاً في الجزيرة العربية قبل الإسلام؟ ولا يوجد أي نص يشير إلى أن نساء الصحابة كن مختونات ولا بناتهن اللواتي وُلدن في عصر الرسول الكريم وبعده. بينما يشير النص التاريخي أن ابن عباس كان مختوناً عندما توفي الرسول الكريم وكان عمره خمسة عشر عاماً. كانوا يعيبون الرجل الذي تعمل أمه ختّانة للنساء ويصفونه تحقيراً بأنه ابن «مقطعة الأبظار». ويسرد الطبري في تاريخه في الجزء الثاني عن معركة أحد النص التالي: ثم مر به (أي مر بحمزة بن

عبد المطلب) مُناف بن سُباع بن عبد العُزّى الغُيتاني وكان يكنى بأبي نيار، فقال له حمزة هلُمَّ إليّ يا ابن مقطعة البظور، وكانت أمه أم أنوار بنت وهب الثقفي تعمل «ختّانة» بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله؛ هذا يدل على أن ختان النساء كان موجوداً في الجزيرة العربية، لكنه غير مرغوب فيه في قريش. كذلك وُصفت هند بنت عتبة التي «لاكت» كبد حمزة في معركة أحد بأنها عظيمة البظر، ولم يقال إنها مختونة، وكان هذا وصف للمرأة القوية المسترجلة.

لعن الإلَهُ وزوجَها معها هند الهنود عظيمة البظر

(الطبري – الجزء الثاني)

وأغلب ظني أن عادة ختان البنات دخلت الجزيرة العربية بعد دخول «الأحباش» إلى اليمن قبل الإسلام وانتشرت في بعض القبائل والمجتمعات المحيطة بالصحراء، إضافة إلى وجود الرقيق الأسود الإفريقي بكثرة في المدن، حيث قد يكون الشكل التشريحي للمرأة الإفريقية جعلهم يلجئون إلى مثل تلك العمليات والتي ما زالت منتشرة في إفريقيا السوداء وفي إفريقيا الإسلامية.

ولو ناقشنا لماذا استمر ختان المرأة في بعض البلاد العربية والإسلامية وبالتحديد في مصر والسودان ولم يعد موجوداً في البلاد الإسلامية في المشرق العربي، قيل في ذلك الكثير من الأسباب:

١- كبر حجم البظر والغلفة فوقه، يبدو أن هذا من الصفات الخِلقية لنساء بعض القبائل في السودان وإفريقيا والجزيرة العربية. وقد ذكرنا أنهم وصفوا إحدى السيدات بهذه الصفة تحقيراً لفعلتها.

٢- طول وضخامة الشفرين الصغرين مما يعيق العملية الجنسية وبالتالي يؤخر الحمل؛ وقد رأيت في عمان أعداداً من تلكم النساء أثناء الفحص السريري لمعرفة تأخر الحمل عندهن، وبالفعل قمت بإجراء عملية جراحية صغرى بالتخدير الموضعي لتقصير الشفرين الصغيرين لامرأتين تزوجتا منذ أكثر من خمس سنوات ولم تحمل أيهن خلال تلك الفترة؛ وكان الفحص المخبري للزوج والفحص الشعاعي للزوجة ضمن الحدود الطبيعية؛ ولكن كل واحدة منهن حملت بعد أربعة أشهر من تلك العملية: فهذه العملية الصغرى ليست «خفضاً» بل «استطباباً»؛ وقد رفضت بعد ذلك إجراء الكثير من تلك العملية لعدد من النساء اللواتي لم يحملن وكن مصابات بنفس الحالتين السابقتين، بل كنت أحيلهن إلى أخصائي الجراحة النسائية.

كما وقد رفضت إجراء ختان للبنات المصريات المولودات في عمان ونصحت الأمهات بعدم إجراء ذلك حيث سمعت نصحي أعداد كثيرة من الأمهات المثقفات، ولكن رأيت بعض القرويات منهن يجرين ختان بناتهن عندما يذهبن لزيارة الأهل في مصر ويقعن فريسة العادة.

٣- طول مفرط للشفرين الصغيرين عند بعض البنات بعد البلوغ لسنوات مما يسبب حكة فرجية نتيجة التخريش والضيق أثناء اللباس الداخلي مما يلفت

انتباه المرشدة الاجتماعية وتشعر البنت بالراحة عندما تعود إلى البيت وتلبس الثوب دون اللباس الداخلي؛ وكنت أرسل مثل أولئك الفتيات إلى الأخصائيين بعد كشف الحالة.

٤- قرأتُ في مجلة «الدكتور» التي كانت تصدر في مدينة القاهرة في الأربعينات من القرن الماضي وأنا طالب في المرحلة الثانوية بحثاً طويلاً عن ختان المرأة ونقده وكان سبب الختان كما ذكر بعضهم أن المرأة القروية تتنبه جنسياً و هي تركب الحمار أثناء عملها في الحقل بسبب احتكاك أعضائها بظهر الدابة ولذلك يقطعون العضو الذي يتنبه، والغريب أنني قرأت في شعر العرب ما يشير إلى إهانة إحدى النساء بأنها تستعمل أعضاءها بدل العصاة لتحريك الدابة وذلك لكبر تلك الأعضاء.

٥- من المألوف بحكم العادة في الريف المصري أن لا تذبح المرأة غير المختونة أية ذبيحة ابتداءً من الطير حتى الخروف. ويقولون بعرفهم أن من لم تجر السكين على فرجها لا يجوز لها أن تمسك السكين و تذبح الطيور والدجاج وغيرها؛ ولذلك من المألوف عند «الشغالات المصريات» أن تقوم بذبح الدجاجة وتشير مقسمة بالله أنها مطهرة أي مختونة.

وكتب الجاحظ في كتابه «الحيوان» – الكتاب الأول – الجزء السابع، ص ٢٧ عن ما نسميه الآن ختان البنات – والذي سأكتبه هنا لأمانة النقل العلمي – ما يلي:

أثر الختان في اللذة: قال: والبظراء تجد من اللذة ما لا تجده المختونة، فإن كانت مستأصله مستوعبةً كان على قدر ذلك. وأصل ختان النساء لم يُحاوَلْ به الحُسنُ دون التماس نقصان الشهوة فيكون العفاف مقصوراً عليهن. – وذكر هنا حديثا منسوبا للرسول ﷺ «للخاتنة» أم عطية: لم أجد ذلك الحديث في كتاب «الجامع الصغير للألباني» لذلك لم أثبته هنا. ويقول بعد شرحه للحديث الموضوع، قد كان رجل من كبار الأشراف عندنا يقول للخاتنة: لا تقرضي إلا ما يظهر فقط. ثم يذكر تحت عنوان:«أثر الختان في العفاف والفجور».

وزعم جناب بن جسّاس القاضي أنه أحصى في قرية واحدة النساء المختونات والمُعْبَرات إي التي لم تخفض- فوجد أكثر العفائف مستوعبات وأكثر الفواجر مُعبرات، وأن نساء الهند والروم وفارس إنما صار الزنا وطلب الرجال فيهن أعم لأن شهوتهن للرجال أكثر ولذلك اتخذ الهنود دوراً للزواني، قالوا وليس لذلك علّة إلا وفارة البظر والقلفة أي لم تختن. والهند توافق العرب في كل شيء إلا في ختان النساء والرجال إلى ذلك تعمقهم في توفير خط الباه. قالوا: ولذلك اتخذوا الأدوية، وكتبوا في صناعة الباه كتباً ودرسوها الأولاد. وكتب بعنوان السَّحْق بشيء من التفصيل وهو مالا أجد ضرورة لذكره هنا. وكأنه يشير إلى أن سبب السحق هو عدم ختان المرأة.

لم يكن ختان البنات معروفاً في «سوريا الكبرى» فأثناء وجودي في جامعة دمشق لمدة سبع سنوات وفي محاضرات النسائية والتوليد والتطبيق العملي في السريريات في مستشفى الجامعة لم يرد ذكر «الخفض» في تلك المحاضرات ولا في كتابنا المقرر؛ ولم نر أي امرأة مختونة خلال السنوات الثلاثة من دوام السريريات. كذلك أثناء وجودي طبيباً مقيماً في مستشفى التوليد في مدينة حلب ما يقرب من سنة لم أر أية سيدة مختونة علماً أن ذلك المستشفى كان يسعف شمال سوريا، وتعددت مريضاته من مدنيات وقرويات وبدويات.

وأثناء ممارستي الطب العام في عيادتي الخاصة في عمان وكثرة ما كنت أعالج الأمراض النسائية من الخمسينات إلى الثمانينات من القرن الماضي – قبل عودة الأعداد الكثيرة من الاختصاصات العليا في ذلك الفرع – لم أر أية سيدة مختونة من بلادنا؛ مما يشير إلى عدم وجود هذه العادة في بلادنا منذ قرن حتى الآن.

إنما في عمان وفي عيادتي الخاصة شاهدت حالة الكثيرات من السيدات والبنات المصريات مختونات من الدرجة الثانية، وقد سبب الشكل التشريحي الجديد لأعضاء المرأة التناسلية أزمة عند زواج الأردني من فتاة مصرية خاصة إذا كان الرجل متزوجاً سابقاً، فكان يظن أن عروسه ليست عذراءً، فيحضرونها إلى الفحص في منتصف الليل أو في الصباح الباكر لأجد أنها عذراء إنما هي مختونة وأتولى إفهام الزوج أن هذه الحالة عادية جداً عند المصريات. فيعود بعروسه إلى منزل الزوجية راضياً مرضياً.

ومن طريف ما سمعت ما بثته إذاعة لندن في نشراتها الإخبارية في ٢٠٠٦/١٠/٢٥ أن المحكمة العليا في بريطانيا قررت منح الجنسية البريطانية للفتاة المسلمة زينب والتي تحمل جواز سفر من سيراليون بإفريقيا. إذ إن الفتاة دخلت بريطانيا بتأشيرة رسمية ولما انتهت مدة إقامتها طلبوا منها أن تغادر بريطانيا، ولكنها استأنفت أمر إخراجها لدى المحكمة، حيث أقنعت المحكمة بأنها لو عادت إلى بلادها فأول ما تواجهه هو إجراء ختان فرعوني لها حسب عادات قبيلتها وإذا رفضت فسيقتلونها. ولذلك اعتبرتها المحكمة «لاجئة عنف» وهذا من الأسباب التي تؤهلها لأخذ الجنسية البريطانية، وبذلك نجت من تلك العملية البشعة.

وأخيراً يجب أن يعلم المدافعون والمدافعات عن حقوق المرأة أن ختان المرأة ليس من الإسلام، ولذلك نحن الأطباء المسلمون نرحب باليوم الذي تعيش فيه نساء العالم دون المساس بأعضائهن «فطرة الله التي فطرها» صدق الله العظيم.

كان يوم ٢٠٠٧/٢/٨ يوم الاتحاد الأوروبي للقضاء على عادة ختان الإناث، وقد ناقش الاتحاد الأوروبي هذا الموضوع وقرر أن ختان النساء لن يكون مقبولاً في دول الاتحاد بعد هذا اليوم. وتساءلوا كيف تتم هذه العملية إلى الآن في دول الاتحاد، ولاحظوا أن عدداً كبيراً من الذين يجرون هذه العملية هم من الأطباء الإفريقيين الذين يقيمون في باريس؛ وطالب عدد كبير من دول الاتحاد الأوروبي

بوقف الدعم المالي للبلاد التي يمارس فيها ختان الإناث. وتشير إحصائياتهم أن ١٥٠ مليون امرأة في العالم تعاني من الختان ورغم ذلك فإن مليونين من الإناث يُجرى ختانهن كل عام. لذلك طالب الاتحاد اعتبار تاريخ هذا اليوم مناسبة سنوية لنشر الوعي اللازم لمكافحة هذه العادة.

وللعلم فإن الاتحاد الأوروبي رصد مليون يورو للقضاء على هذه العادة وإن هذه العادة منتشرة في إفريقيا وجزر الكاريبي وبعض دول أمريكا اللاتينية.

كان هذا ما سمعته في نشرة أخبار إذاعة لندن B.B.C في هذا اليوم وكررته في أكثر من مرة في إذاعتها الصاحبة وظهراً ومساءً.

وفي ندوة من إذاعة لندن في ٢٠٠٧/٢/١٨ ضمت عدداً من المفكرين الإسلاميين ناقشوا موضوع «علاقة الإسلام بالغرب» أشار «د. محمد عمارة» وهو أحد العلماء المعروفين وله شهرة واسعة في العالم الإسلامي إلى أن مشكلة الغرب مع الإسلام أنهم يبحثون عن نقاط لا قيمة علمية أو دينية لها، ويناقشونها على أنها مما يأخذونه على الحضارة الإسلامية وضرب مثلاً على ذلك «ختان البنات» حيث ينظرون إليه وكأنه جزء من حضارة الإسلام وينتقدونه على هذا الأساس؛ في حين ليس ذلك من الإسلام ولم يرد في السنة الشريفة والأحاديث الصحيحة ما يحبذ ختان البنات والنساء، ورغم ذلك ترتفع أصوات جمعيات المدافعات عن حقوق المرأة في أوروبا ناقدة تلك العملية وكأنها فرض على البنت المسلمة يجب أن تؤديه أو يؤديه أهلها وهي صغيرة.

في مشهد تلفزيوني بثته فضائية B.B.C في ٢٠٠٧/٤/٨ عن ختان البنات في كينيا، ظهر في الشاشة صورة طفلة سوداء البشرة اجتمع حولها نساء من السود يمسكن يديها وساقيها وتقوم الخاتنة بإجراء عملية الختن للطفلة وهي تبكي وتصرخ. كان هذا المشهد مقدمة لخبر أنه انعقد مؤتمر نسائي في تلك المدينة -العاصمة- للدفاع عن حقوق المرأة الإفريقية وكان من توصياته التي تؤخذ بالإجماع إلغاء عملية الختان للبنات.

في إسبانيا يطالبن بوقف ختان النساء

طلبت نائبتان أوروبيتان عضوان في اتحاد اليسار الإسباني من الاتحاد الأوروبي وقف ختان النساء في العالم وقدمتا مشروع قانون يندد بمثل هذه الممارسات التي تشمل ستة آلاف امرأة يومياً في العالم من بينها بعض دول الاتحاد الأوروبي نفسه.

وطلبت النائبتان من دول الاتحاد اعتبار هذه الممارسات تعذيباً وأنها تشكل سبباً كافياً لطلب اللجوء السياسي في الدول الـ «١٥» وأن تُسَنَّ قوانين تعاقب ختان النساء.

كما طلبتا من المفوضية الأوروبية أن تقوم بحملة توعية وأن تمارس ضغوطها للقضاء على هذه الممارسة التي تُلحق بآلاف النساء عاهات جنسية مدى الحياة.

(وكالة بترا عن مدينة ستراسبورغ ٢٠٠١.)

المهاجرون الأفارقة يثيرون القلق في إسبانيا بسبب ختان الإناث

ظهرت في إسبانيا مشكلة اجتماعية أثارها المهاجرون الأفارقة الذين يزدادون عدداً، إذ فوجئ الإسبان بظاهرة ختان الفتيات التي لم يسمعوا بها من قبل. أما الحكومة فقد اعتبرتها مشكلة حساسة ويتعذر إيجاد حلول لها.

فقد اكتشفت ٣٠ حالة تقريباً لفتيات تعرضن للختان، في حين يُعتقد أن مئات الفتيات أعدن إلى بلادهن في أفريقيا خلال العطلات لختانهن هناك.

ويعيش في إسبانيا أكثر من ثلاثين ألف مهاجر من دول إفريقية منها السنغال وجامبيا ومالي وموريتانيا.

ومع ازدياد أعداد المهاجرين، تستعد السلطات لاتخاذ إجراءات أشد لمكافحة هذه العادة التي وصفها مسئول إسباني بأنها «بالغة القسوة»، وترجع عادة الختان إلى آلاف السنين وتمارس في ٣٠ دولة إفريقية. (الدستور: ٢٩ أيار ٢٠٠١م.)

مفتي مصر يحرم ختان الإناث:

قال مفتي مصر علي جمعة إن ختان الإناث حرام؛ بعد وفاة طفلة أثناء عملية ختان في أقوى إدانة يصدرها عالم الدين لعادة الختان وقالت وكالة أنباء الشرق الأوسط إن جمعة شدّد أمس على أن «عادة الختان الضارّة التي تمارس في مصر في عصرنا حرام» وأفتى جمعة بحرمة الختان بعد تقارير عن وفاة طفلة عمرها «١١» عاماً في محافظة المنيا جنوبي القاهرة أثناء عملية ختان أجرتها طبيبة في عيادتها الخاصة. وختان الإناث محظور بحكم القانون في مصر لكن العادة منتشرة على نطاق واسع في البلاد باعتبارها وسيلة لصون عفتهن. ولم يحرم علماء دين بارزون ختان الإناث من قبل برغم أن شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي قال إنه عادة غير إسلامية وطالب بأن يرجع القرار في إجراء عملية الختان لطبيب موثوق به. وقال «طنطاوي» «والبابا شنودة» إن القرآن والإنجيل لم يذكرا ختان الإناث، وحرم المفتي الختان بعد وفاة الطفلة «بدور أحمد شاكر» خلال إجراء عملية الختان قبل يومين. وقالت مصادر أمنية إن الطفلة تلقت جرعة تخدير زائدة قبل إجراء العملية. وقالت صحيفة مصرية إن نقابة الأطباء فتحت تحقيقاً في وفاة الطفلة. وأقام والد الطفلة دعوى قضائية ضد الطبيبة التي أجرت العملية متهماً إياها بالإهمال.وقالت مصادر أمنية إن الطبيبة تواجه الحكم بالحبس لمدة تصل إلى عامين.

حملة حكومية مصرية لإغلاق مئات عيادات ختان الإناث

تقود الحكومة المصرية حاليا حملة في مختلف المدن والقرى المصرية من أجل إغلاق مئات العيادات الخاصة التي تخصص أصحابها في إجراء عمليات الختان للبنات، بعد أن شهد الأسبوع الماضي حادثا مأساوياً حيث لقيت الطفلة «بدور» من محافظة «المنيا» مصرعها أثناء إجراء عملية ختان لها.

ودشنت زوجة رئيس الجمهورية حملة بعنوان «بداية النهاية» من أجل إقناع المجتمع المصري بالتوقف عن ممارسة هذه العادة.

وفي هذا السياق لجأت الحكومة لإصدار فتوى جديدة من مفتي الجمهورية أكد خلالها على حرمة الختان ودعا المصريين إلى التوقف عنه حفاظاً على صحة فتياتهم، وأعلنت محافظة المنيا في صعيد مصر بدء حملة من أجل منع الختان، حيث أغلقت في يوم واحد ما يقرب من (٤٠) عيادة خاصة تعمل دون الحصول على ترخيص.

وهاجم وزير الصحة الأطباء الذين يجرون هذه العمليات متوعداً إياهم بالملاحقة وتقديم بلاغات ضدهم للنيابة تمهيداً لفصلهم. وأكد الوزير أنه لن يتوانى في مكافحة تلك الظاهرة السلبية التي تسيء للمصريين، وأنه سيسخر طاقات الوزارة للقضاء على هذه العادة، وهاجم بعض الأئمة الذين يؤكدون أن هذه العادة هي من الإسلام ويحضون المواطنين على اقتفاء أثرها.

وفي تصريحات خاصة لجريدة الدستور شدد نقيب الأطباء على أن نقابة الأطباء سوف تحيل الأطباء الذي يمارسون تلك الجراحة داخل العيادات أو المنازل للمساءلة، وسوف تُوجّه إليهم تهمة الإضرار بالإناث، وسيتم فصل الطبيب المخالف ووقفه عن ممارسة المهنة.

(الدستور – العدد ١٤٣٤٩ تاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٩)

مئات المصريين يتظاهرون احتجاجا على ختان الإناث

أسيوط – رويترز

تظاهر مئات المصريين أمس احتجاجا على وفاة طفلة أثناء إجراء عملية ختان.

ورفع المحتجون الذين ساندت السلطات مسيرتهم بمدينة أسيوط التي تقع على مسافة ٥٠٠ كيلومتر جنوبي القاهرة لافتات تدين الختان وكتبت على إحداها عبارة «الختان اغتيال لكرامة الإنسان».

ورفع المحتجون صورة الطفلة بدور شاكر (١١ عاما) التي راحت ضحية عملية الختان على سيارة زينت بالورود وسار المحتجون على وقع موسيقى عزفتها فرقة آلات نحاسية.

وتوفيت الطفلة المصرية خلال عملية ختان أجرتها لها قبل نحو ثلاثة أسابيع طبيبة في عيادتها الخاصة في محافظة المنيا المجاورة. وقالت مصادر أمنية إن الطفلة تلقت جرعة تخدير زائدة قبل إجراء العملية.

وحظرت مصر ختان الإناث نهائيا الأسبوع الماضي. وكانت الحكومة حظرت الختان عام ١٩٩٦ لكنها استثنت «الحالات المرضية» التي يحددها طبيب معالج ويقرها رئيس قسم النساء والولادة في المستشفى الذي تجرى فيه العملية.

وبرغم ذلك فإن العادة منتشرة على نطاق واسع في البلاد باعتبارها وسيلة للمحافظة على العفة لدى الأنثى وتأكيدا للنظافة.

ويقوم بعملية الختان طبيب أحيانا ويقوم بها في الغالب قابلة أو قريبة للطفلة. وتواجه الطبيبة التي أجرت العملية للطفلة المتوفاة حكما بالحبس سنتين.

وقبل المسيرة احتفلت قريبة بني زيد الأكراد في محافظة أسيوط بإعلانها التخلي النهائي عن عادة الختان لتكون أول قرية في المحافظة تفعل ذلك.

وكانت عدة قرى وأحياء في عدد من الحافظات أعلنت التخلي النهائي عن عادة الختان في نطاق مشروع ينفذه المجلس القومي للأمومة والطفولة منذ عام ٢٠٠٣.ومن بين الآثار الجانبية للختان حدوث نزيف وصدمة وعجز جنسي.

وقال مفتي مصر علي جمعة الأسبوع الماضي إن ختان الإناث حرام فيما يعد أقوى إدانة لعادة الختان من عالم الدين المصري البارز.

وطالب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في بيان اليوم الخميس بتنظيم حملة إعلامية «تحذر المواطنين من ممارسة هذه العادة الضارة». والختان في مصر يمارسه المسلمون والمسيحيون على السواء لكنه نادر جدا في باقي العالم العربي باستثناء السودان والصومال. كما أنه منتشر في أثيوبيا وارتيريا.

(الدستور – العدد ١٤٣٥٦ تاريخ ٢٠٠٧/٧/٦)

في ندوات إذاعية عبر الهاتف من إذاعة لندن B.B.C

تحدث رجل من السودان وأشار إلى أن هذه العملية تجرى في السودان ويرى أن سبب وفاة الطفلة هو الجهل في التخدير وليس من العملية وطالب أن تجرى هذه العملية بأيادي أخصائيين وأخصائيات كما في ختان الذكور.

وتحدثت بعض «السودانيات» بشدّة وغضب وحملن على تلك العملية وعلى الذين يجرونها ومما فهمته من الحديث أن السودانيات يتعرضن إلى «الختان الفرعوني» وهو يسيء إلى الفتاة طيلة حياتها وهو ما لم أره عند المصريات الصغيرات والكبيرات ويبدو أنه شائع في الأجزاء الجنوبية من أفريقيا وقطعاً يجب أن يعاقب بشدة من يجريه.

والأغرب من ذلك تحدث رجل مصري مقيم في المملكة العربية السعودية وأشار إلى أن ختان الإناث مشروع وأتى بأحاديث «لم أجد لها سنداً صحيحاً».

ولكن متحدثة عراقية قالت إنها تفاجأ بما تقرأ وتسمع عبر الإذاعات والفضائيات في هذه الأيام الأخيرة إذ إن ختان البنات غير معروف في العراق ولا يوجد عراقية مختونة.

إذاعة لندن ٢٠٠٧/٧/٦

في إذاعة لندن B.B.C صباح يوم ٢٠٠٧/٧/١٢ وفي برنامج «إكسترا» كان هذا الموضوع: ختان البنات. وأفضل ما سمعته حيث كررت الإذاعة إعادة عدة مرات في الصباح والمساء من ذلك اليوم.

ينتشر ختان الفتيات في بعض الدول في أفريقيا والشرق الأوسط، لكن الشرطة البريطانية تقول إنها أصبح مشكلة متنامية بالنسبة لها في بريطانيا فعملية الختان تعني أي شيء من عملية إزالة بسيطة إلى عملية إزالة كاملة لبعض الأعضاء

التناسلية للفتاة. وفي كثير من الأحيان تجرى هذه العملية دون استخدام المخدِّر، بريطانيا حظرت إجراء هذا الختان وقد يتسبب في محاكمة أولياء أمور هؤلاء الفتيات حتى ولو تمت العملية خارج بريطانيا.

مع هجرة الجاليات الأجنبية إلى بريطانيا أتت معها ممارسة ختان الفتيات إلى هذا البلد؛ وتخشى الشرطة البريطانية من أن تتم هذه الممارسة في الخفاء وبشكل غير قانوني، أو أخذ الفتيات الصغيرات إلى الخارج حيث يتم ختنهن. ولذلك أعلنت الشرطة البريطانية عن حملة لمكافحة هذه الممارسة بل وبتقديم مكافأة مالية تقدر بآلاف الجنيهات الإسترلينية لكل من يدلي بمعلومات تؤدي إلى محاكمة الأشخاص الذين يقومون بتطبيق هذه الممارسة.

ويقول محقق شرطة بريطاني مسؤول «إن الغرض من هذه الحملة هو حماية البنات الصغيرات وأعتقد أنه من المهم للغاية تسليط الضوء على هذه الممارسة وفي هذا الوقت بالذات لأنه الوقت الذي يؤخذ فيه الأطفال إلى الخارج لزيارة أسرهم أثناء العطلة الصيفية، لكن في الواقع فإنهم يذهبون لإجراء عملية الختان للفتيات. هذه رسالة قوية نوجهها ونقول فيها بأننا لا نهاجم ثقافة ما أو عقيدة ما بل نهاجم الاعتداء الذي يتعرض له الأطفال.

يقول مدير الندوة «إن الجدل الدائر حول ختان الفتيات محتد للغاية؛ الختان يمارسه المسيحيون والمسلمون على حد سواء، ولكن يستخدمون الدين عادة لتبرير هذه الممارسة. يقول الدكتور قيس الدين صديقي و هو عضو في أحد برلمانات بريطانيا «إن تبرير الممارسة ديناً أمر غير صحيح، إنها ممارسة تقليدية ولجعلها أكثر قبولاً فإنهم يستعملون حججاً دينية»

ويقول طبيب وأستاذ في جامعة عين شمس في القاهرة إن الممارسة التي تتطابق مع السنة هي عبارة عن عملية إزالة بسيطة وليس إزالة كاملة ولكن ما هي إيجابيات هذه العملية؟ الجواب أن الختان يساعد المرأة خاصة في بلاد حارة مثل بلدنا مصر؛ وإننا لا نجريها لكل الفتيات والنساء إلا إذا كُن بحاجة لها. إن ٤٠% من النساء يطلبن هذه العملية، ونحن نعيد ٧ من ١٠ فتيات يطلبن إجراء عملية الختان نقول لهن «إنكن لا تحتجن إلى هذه العملية».

هذا ما نقلته عن إذاعة لندن، وكنت ضمن «رسالتي هذه» ذكرت كل شيء عن الختان. ولكني أستغرب أن طبيباً مصرياً أستاذا جامعيا يقول إن الختان يساعد المرأة، ولا أدري ولم يذكر ما تلك المساعدة.

وقد ميزت أنا في رسالتي عن الختان التقليدي و هو الذي نمنعه بكافة أشكاله سواء البسيط أو المتوسط أو الشكل الفرعوني المخيف، وبين الحاجة إلى معالجة تشوه خلقي عند بعض الفتيات حيث يجب أن تجرى العملية بيد إخصائي ماهر من اختصاص النسائية والتوليد أو اختصاص جراحة الأطفال.

«اليونيسيف» تعلن تحقيق تقدم في مجال القضاء على ختان الإناث في الدول العربية

عمان – الدستور

أصدر مكتب منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) في عمان الخاص بالمنطقة العربية بيانا صحفيا أكد فيه أنه تم إحراز تقدم في مجال القضاء على ختان الإناث في معظم الدول العربية التي تعاني من هذه الممارسات السلبية تجاه الأنثى الطفلة.

ففي مصر تم إصدار مرسوم وزاري وبيان مناهض لختان الإناث صادر عن أكبر مؤسسة إسلامية في البلاد.

وقد جرّم المرسوم الذي صدر عن وزير الصحة والسكان الأسبوع الماضي ختان الإناث وأغلق ثغرة قانونية مانعاً بهذا العاملين في الصحة وغيرهم من هذه الممارسة في المستشفيات الحكومة وغير الحكومية.

ويتزامن هذا مع إصدار المجلس الأعلى للأبحاث الإسلامية التابع للأزهر، وهي أعلى سلطة دينية في مصر، بياناً ذكر فيه أن ختان الإناث لا أساس له في الشريعة الإسلامية أو في أحكامها الفرعية وذكر أنه ممارسة ضارة ويجب عدم العمل بها.

وقد تم اتخاذ إجراء حديث على عدة جبهات في الأيام الماضية وذلك بعد موت فتاة في الثانية عشرة من عمرها نتيجة الختان في صعيد مصر الأسبوع الماضي.

وبحسب ممثل اليونيسيف، ستدعم اليونيسيف المجلس الوطني للطفولة والأمومة ووزارة الصحة والسكان وجميع الشركاء للمساعدة على تطبيق القانون المعزز تطبيقاً كاملاً وتثقيف الناس حول معناه، وقد يكون هذا القانون بمثابة آلية لأفراد المجتمعات للتبليغ عن المنتهكين والقضاء سريعا على هذه الممارسة الضارة.

وتخضع سنويا ما يُقدر بثلاثة ملايين فتاة وامرأة للختان في قارة إفريقيا بما في ذلك مصر، وختان الإناث هو انتهاك صريح لميثاق الأمم المتحدة لحقوق الطفل الذي يمضي على صدوره ١٨ سنة هذا العام، وجدير بالذكر أن أغلبية عمليات ختان الإناث في مصر تتم على أيدي عاملين مدربين في الطب، وهذا طبقاً للمسح السكاني والصحي في مصر عام ٢٠٠٥.

الدستور العدد ١٤٣٦٤ ١٤/تموز/ ٢٠٠٧

بهذا التقرير الذي صدر بتاريخ ١٤ تموز ٢٠٠٧ عن «اليونيسيف» في عمان وهو – مكتب الأمم المتحدة للطفولة – أختتم رسالتي هذه، راجياً أن أكون قد كتبت وأحطت بكل ما ورد عن الختان خبرة وعلماً وأدباً وتاريخاً، ذاكرا قوله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا ﴾

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عمان في ٢٠٠٧/٧/١٥ وهو اليوم الذي ابتدأت فيه عملية طبيباً في عمان قبل ٥٠ سنة بعد تخرجي من كلية الطب في الجامعة السورية في ١٩٥٧/٧/٣.

ملحق الصور



"أقسم بالله العلي القدير"

بأن أقوم بما تفرضه عليّ مهنتي بصدق وأمانة وعطف وشفقة، غير محجم
عن الاستعانة بمشورة الزملاء عند غموض التشخيص؛ وألاّ أجهض ولا أعطي دواءً
مجهضاً؛ وألاّ أستنكف عن العمل عند انتشار الأوبئة والأخطار خوفاً وجزعاً؛
محافظاً على سر المهنة؛ خاضعاً في كل ذلك لقوانين البلاد في ممارسة مهنتي
والله على ما أقول شهيد



غرفـــة الجراحـــة الصـــغرى



جهـاز التعقـيم بـالهواء الحـار وهـو



جهـــاز التعقـــيم وهـــو مفتـــوح وبداخلــــه الأدوات



الأدوات الجراحيـة وهـي فـي علبهـا وهـي معقمـة علـى



علبـة الختـان وتبـدو الملاقـط الثلاثـة وقطـع الشـاش



الملقط الجرسي



جهــــاز الكــــي الكهربــــائي



عملية ختان في ٢٠٠٧/٧/٧



١) فحص الطفل



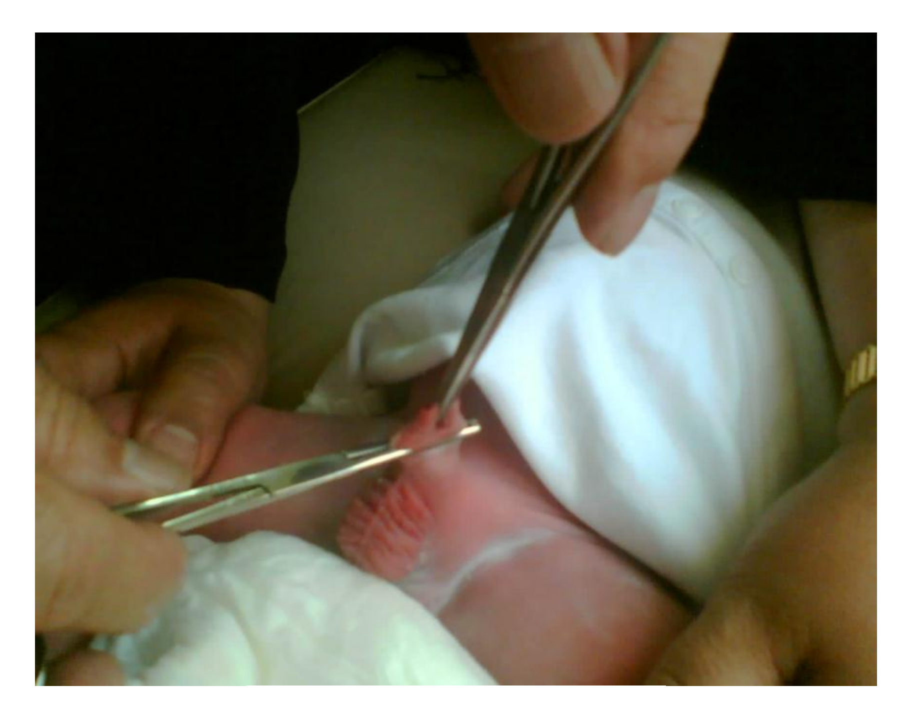
٢) تخدير موضعي



٣) توسيع الفوهة الظاهرة للقلفة



٤) مسك رأس القلفة ورفعها إلى الأعلى



٥) مسك مكان القطع بملقط كوش



٦) القطـــع بالجهـــاز الكهربـــائي



٧) إظهار الحشفة بعد إزالة القلفة

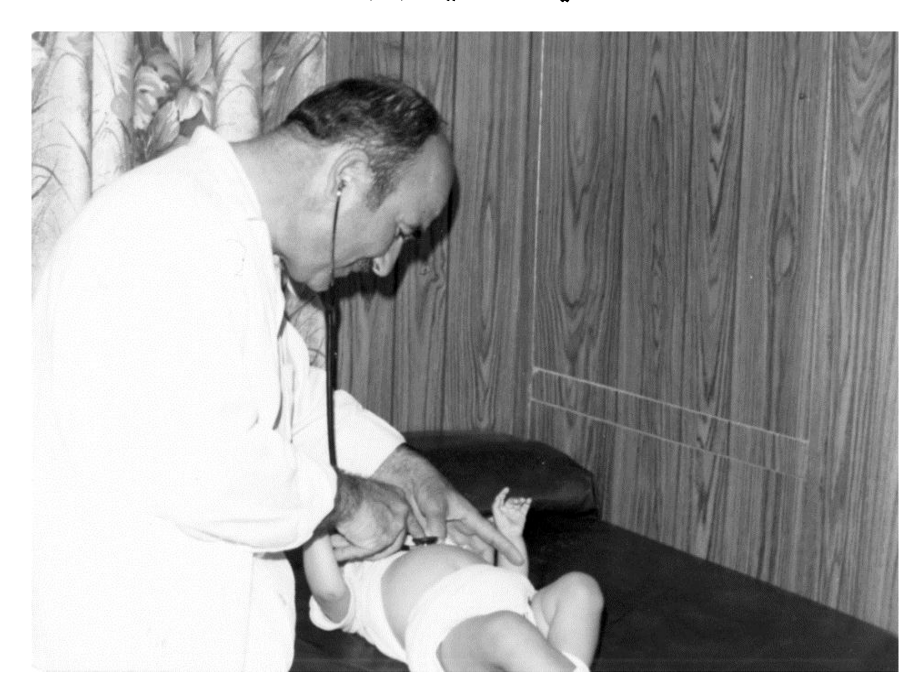


٨) القضيب بعد انتهاء العملية مباشرة



٩) ضماد يبقى يومين

عملية ختان في ١٩٧٥/٥/٥



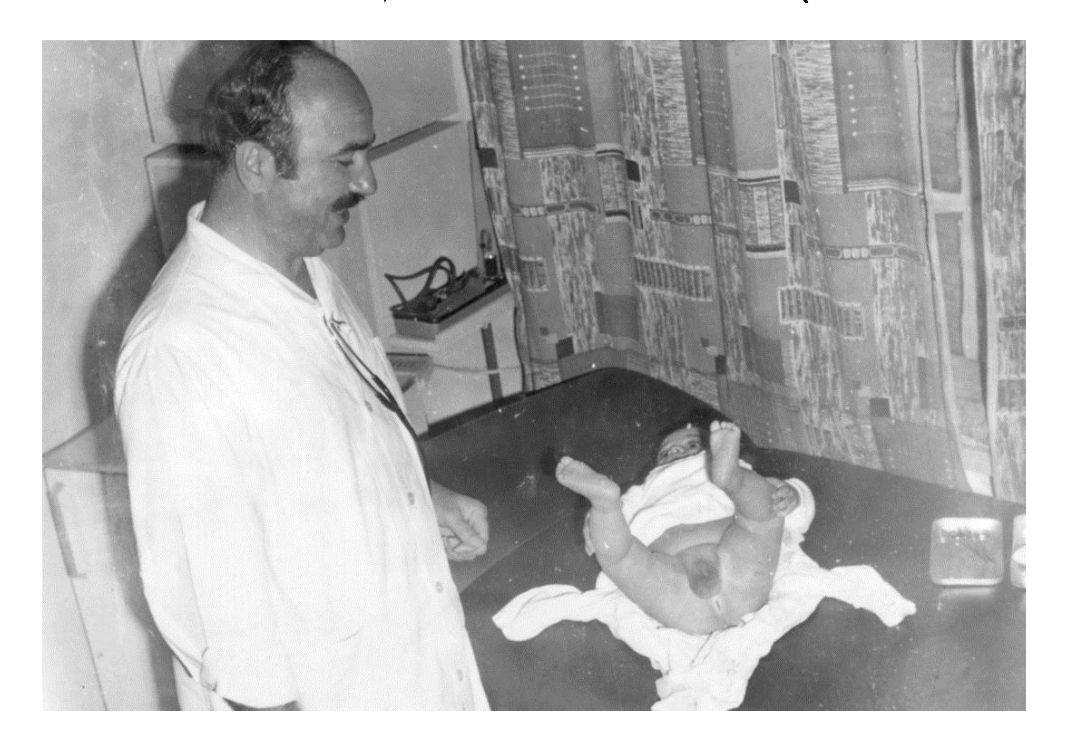
١) فحص الطفل



٢) بـدء عمليـة الختـان وتبـدو الأم مرتاحـة لأن الطفـل لا



٣) انتهاء العملية، وتبدو مرتاحة لعدم بكاء الولد



٤) الطفل بعد العملية ويبدو مرتاحاً دون ألم ودون دم